

Princeton University Library



32101 075818946

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

DUE JUN 15, 1996

DUE JUN 15, 1996

DUE JUN 15, 1997

سنة البشير في اخواننا المنجسين

للملك أبو سعد الحسن بن محمد بن كرامة الجبتي البغدادي
المؤلف سنة ٤٩٤

تحقيق
حسين المدرسي الطباطبائي

Ibn Karrāmah

سؤال الربيع إلى إخواننا من أحسن

للإمام أبي سعد الحسين بن محمد بن كرامة الجعفي البغدادي
المؤرخ سنة ٤٩٤هـ

تحقيق

حسين المدرسي الطباطبائي

٢٠٣٤ - ٢٨٨١

(Arab)

KBL

.I 2645

(RECAP)

تاريخنا من تاريخ الإسلام

تاريخنا من تاريخ الإسلام

تاريخنا من تاريخ الإسلام

تاريخنا من تاريخ الإسلام

طبع من هذا الكتاب مائة نسخة

على نفقة المحقق

١٤٠٦ - ١٩٨٦



32101 016943324

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تأريخ البحث في مسألة القضاء والقدر في المجتمع الاسلامي يساوي تقريباً عمر هذا المجتمع ، فطبيعة طرح المسألة في القرآن الكريم الذي ينسب الهداية والضلالة الى الله تعالى^(١) كانت كافية لبدء هذه الابحاث من دون حاجة الى أن تستورد الشبهات من اليهود والمسيحيين ، وان كانت لهذه الابحاث سابقة قديمة بين هؤلاء وبخاصة في اللاهوت المسيحي التي ربما أثير بعض الشيء في بعض المناظرات الكلامية التي ظهرت في الادوار المتأخرة .

وقد حفظت لنا كتب الحديث بعض النماذج الاولى من هذه المناظرات ، أقدمها ما يعود الى سنة ٣٨ ، فقد روي بأسناد عديدة - سنية وشيعية - أنه لما انصرف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من صفين قام اليه شيخ ممن شهد الواقعة معه فقال : يا أمير المؤمنين ! أخبرني عن مسيرنا هذا أكان بقضاء من الله وقدر ؟ قال له أمير المؤمنين : أجل يا شيخ ! فو الله ما علوتم تلعمة ولا هبطتم بطن

١. راجع قائمة بهذه الايات في بحار الانوار للمجلسي ٥ : ٨٤ - ٨٦ (بيروت

واد الأبقضاء من الله وقدر . فقال الشيخ : أئند الله اءتسب عنائى بأأمىر المؤمنىن؟ فقال : مهلا يا شىخ ! لءلك تظن قضاء ءتماً وقدرأً لازماً ، لو كان كءلك لبطل الثواب والعقاب والامر والنهى والزجر ، ولسقط معنى الوعد والوعىء ، ولم تكن على مسىء لائمة ولالمءسن مءمءة . . (١) .

وقء مر الامام على فى أىسام ءلافةه بجماعة بالكوفة بءءصمون فى القءر فكلمهم فىه (٢) . وقء ءفظت لنا المصادر رسالة كءبها ءءسن البصرى الى الامام

١. رسالة الجبر والءقوىض المنسوبة الى الامام على بن مءمء الءاءى (المءوفى ٢٤٠) ، المءءرءة فى كءاب ءءف العقول لابن شعبة ءرانى (القرن الرابء) : ٣٤٦ (بىروت - ١٣٩٤) / الكافى للكلبنى ١ : ١٥٥ / التوءىء للصدوق : ٣٨٢-٣٨٠ (طهران - ١٣٨٧) / عىون أءبار الرضا ، للصدوق : ٧٩ / الارشاد للمفىء : ١٢٠ - ١٢١ (نجف - ١٣٨٢) / كئز الفوائء للءراءكى : ١٦٩ - ١٧٠ / الفصول المءءارة للمرءضى : ٤٤ - ٤٦ / أمالى المرءضى ١ : ١٥٠ - ١٥١ / روضة الواعظىن للءقال النىسابورى : ٣٦ - ٣٧ / النقص لعىء الجلبىل الرازى : ٤٩٥ - ٤٩٦ (طهران - ١٣٩٩) / مءشابه القرآن لابن شهر آشوب : ١٩٧ - ١٩٨ / الطرائف لابن طاوس : ٣٢٦ - ٣٢٧ (قم - ١٤٠٠) عن كءاب الفائق للزمءشرى / الءءءاء للطربرى ١ : ٣١٠ - ٣١١ (نجف - ١٣٨٦) / كءش المراد للءلامه ءءلى : ٢٤٧ (قم - بءون تأرىء) / اللوامع الالهىة للمءءاء السىورى (ءبرىز - ١٣٩٦) : ١٢٩ - ١٤٣ / الصراط المسءقىم للبىاضى (طهران - ١٣٨٤) ٣ : ٦٤ - ٦٥ عن ءءارب الامم لابن مسكوىه / معاءن ءءكمة لعلم الءهىء : ٣٠ - ٣١ / بءار الانوار ٥ : ١٢ - ١٤ و ٧٦ - ٩٥ و ٩٦ - ١٢٥ و ١٢٦ .

٢. كءاب التوءىء للصدوق : ٣٥٢ - ٣٥٣ / بءار الانوار ٥ : ٣٩ / معاءن ءءكمة ٢ : ٤٧ . وانظر قصة النءاشى الشاعر مع أهل الكوفة وهءائه لهم لقولهم بالقءر فى الشعر والشعراء لابن قءبىة ١ : ٣٣٠ (القاهرة - ١٣٦٦ بءءقىق أءمء مءمء شاكر) والاصابة لابن ءجر المسقلانى ١٠ : ٢٠٥ (القاهرة - ١٣٩٦) .

الحسن بن علي في مسألة القدر ورد الامام عليه ، يرجع تأريخهما على أرجح الاحتمالات الى الفترة القصيرة التي تصدى الامام فيها للخلافة (رمضان ٤٠ - ربيع الاول ٤١) . جاء في رسالة الحسن : « يا ابن رسول الله ان الناس قد اختلفوا في القدر فان رأيت أن تكتب الينا بما ألقاه الله عليكم أهل البيت فافعل . فأجابه الامام : « أما بعد - فانه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر ومن حمل ذنوبه على الله فقد فجر ، ان الله لم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً ولم يهمل العباد سدى في الهلكة ، بل هو المالك اما ملكهم والقادر على ما عليه أقدروهم ، فان ائتمروا بالطاعة لم يجدوا عنها صاداً ولا مضطماً وان ائتمروا بالمعصية فشاء أن يحول بينهم وبينها فعل ، فان لم يفعل فليس هو الذي أدخلهم فيها جبراً ولا حملهم عليها قسراً بل مكنته ايأهم بعد اعذاره وانذاره لهم واحتجاجه عليهم ، وجعل لهم السبيل الى أخذ ما اليه دعاهم وترك ما عندهم نهاهم » (١) .

ثم كثر الحديث عن المسألة في العهد الاموي ، حفظت المصادر القديمة عديداً منه في طياته ، كما أنه بقي رسائل مفردة نشر أكثرها . وبدأ علم الكلام

١ . كتاب التكليف للشلمغاني المتوفى ٣٢٢ (المطبوع باسم فقه الرضا) : ٥٥ /

تحف العقول لابن شعبة الحراني : ٢٣١ / معادن الحكمة لعلم الهدى ٢ : ٢٩ -

٣٠ / متشابه القرآن لابن شهر آشوب : ٢٠٠ / بحار الانوار ٥ : ٤٠ - ٤١

و ١٢٣ - ١٢٤ . روى النصان في بعض هذه المصادر ملخصاً وفي بعضها كاملاً ،

وهناك اختلافات يسيرة ايضاً في بعض الالفاظ . ويوجد النص في بعض المخطوطات

القديمة ايضاً ، منها مخطوطة رقم ١٠٢٢ بالمكتبة المركزية لجامعة طهران التي

يأتي النص فيها في ورقة ١٧٤ يتبعه نص الرسالة التي كتبها عبد الملك بن مروان

الى الحسن البصري وجوابها . والنص الذي نقلناه أعلاه يوافق هذه المخطوطة

الافى السطر الاخير .

الاسلامي ينمو ويتطور من هذا المنطلق ليصل الى ما بلغ اليه في الاعصار التالية.

* * *

وكان من أولى الانقسامات الكلامية التي ظهرت بين علماء المسلمين انقسامهم الى المرجئة والقدرية الذي تطور بعد فترة الى مدرستي الاعتزال والاشعرية ، يقابلهم مدرسة أصحاب الحديث التي حظرت عن الابحاث الكلامية العقلية بما فيها أبحاث القدر^(١) ، ونشب الخلاف والتنافس بين أهل الكلام وأهل الحديث ووقع بينهم عدااء شديد وسيف وتكفير^(٢) ، فتبادلا الاتهامات وألف كل من الفريقين ردوداً ضد الآخر وتهجم بعضهم بعضاً ، فمثلا كتاب «قبول الاخبار ومعرفة الرجال» لابي القاسم البلخي الكعبي المعتزلي (المتوفى ٣١٧ -- ٣١٩) ألف ضد المحدثين وكتاب «شرف أصحاب الحديث» للمخطيب البغدادى و « تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة ألفا دفاعاً عن المحدثين ورداً على المتكلمين .

وزاد في حدة الخلاف ميل الساطة الى أحد الفريقين الذي سبب في خلق الفتن والمحن المعروفة لكل من الجانبين، مما جاء تفصيلا فى المصادر ولا حاجة الى اطالة الكلام فيه . والمعتزلة منهم خاصة وقعوا موقع عدااء الفرق الكلامية المختلفة وأصحاب الحديث والسلطة الحاكمة مما ضيق عليهم الارض، خاصة

١ . بكر بن عبد الله المزنى المصرى المحدث المكثّر كان قد عزم على أن لا يسمع

قوماً يذكرون القدر الاقام فصلى (الوافى بالوفيات للصفدى ١٠ : ٢٠٧) .

٢ . راجع كتاب الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث لعبد المجيد محمود عبد المجيد

(القاهرة - ١٩٧٩) : ٧٨ -- ٨١ وكتاب الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع

الهجرى لادم متر : ١ : ٢٨٨ - ٢٨٩ وكتاب جرج المقدسى بعنوان

Ibn Aqil et la resurgence de l'islam traditionaliste

au XIe siècle (Damas , 1963) , pp . 327 - 40 .

بعد صدور ماسمي بالاعتقاد القادري في سنة ٤٣٣ هـ ، واستمر التضييق والاضطهاد حتى قضى على الحركة في النهاية في القرن السابع الا في اليمن حيث انتقل الاعتزال وعاش حتى القرن العاشر .

في اواخر القرن الخامس كان كثير من العلماء ينتمون بعد الى هذه المدرسة في ضواحي العراق وايران ، وكان خوارزم وخراسان من أماكنهم الرئيسية ، لكنهم كانوا تحت تهجم أصحاب الحديث - الذين كانوا متمثلين الان في فئة الحنابلة - وكذلك تهجم الاشاعرة والكرامية ، وكان أدب الردود والنقود يدوم وان كانت الغلبة مع الضغوط السياسية والفتن الاجتماعية . والكتاب المائل بين يدي القاريء الكريم الذي هو في الحقيقة لائحة اتهام معتزلية ضد فرق أهل

١. فقد استتاب الخليفة القادر في سنة ٤٠٨ هـ فقهاء المعتزلة ونهاهم عن الكلام والمناظرة في الاعتزال وأخذ خطوطهم بذلك وأنهم متى خالفوه حل بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم ، وامثل محمود بن سبكتكين الغزنوي أمر الخليفة واستن بسنته في أعماله من خراسان وغيرها في قتل المعتزلة وصار ذلك سنة في الاسلام (المنتظم لابن الجوزي ٧ : ٢٨٧) ولما أخذ محمود بن سبكتكين الري في سنة ٤٢٠ هـ نفى من كان بها من المعتزلة وأحرق كتبهم (الكامل لابن الاثير ٧ : ٣٣٥) ، وفي سنة ٤٥٦ هـ لعنت المعتزلة في جامع المنصور ببغداد ، وجلس بعض العلماء لسب المعتزلة ، وهجم قوم من الاشاعرة على أبي علي بن الوليد شيخ المعتزلة فسبوه وشتموه وأهانوه وجروه (البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٩١) ، وألزموه بيته مدة خمسين سنة الى أن توفي (نفس المصدر ١٢ : ١٢٩) ، واضطروا أبا الوفاء بن عقيل الفقيه في سنة ٤٦٥ هـ الى أن يحضر في الديوان ويكتب على نفسه كتاباً يتضمن توبته من الاعتزال ، لما قيل من أنه كان يتردد على هذا الشيخ أبي علي بن الوليد (نفس المصدر ١٢ : ٩٨ و ١٠٥) .

الحديث والاشاعة والكرامية^(١) قد ألفت في مثل هذا الجو .

* * *

الامام الحاكم أبو سعد المحسن بن محمد بن كرامه^(٢) الجشمي البروغني
البيهقي ، المنتهي نسبه الى الامام علي بن أبي طالب^(٣) ، ولد في قرية جشم^(٤)

١. الكتاب ألفت ضد فرق « المجبرة » و « المشبهة » ، ويريد المؤلف بالمجبرة
الاشعرية والكرامية والجهمية والضرارية والبكرية والكلابية والنجارية . قال :
« يتسمون بأهل السنة ولا نسلم لهم ذلك » (كتابه العيون في الرد على أهل
البدع : ورقة ١١ من مخطوطة رقم B66 بمكتبة أمبروزيانا / كتابه في نصيحة
العامة : ورقة ٢٣ من مخطوطة C 5 بنفس المكتبة) . ويعنى بالمشبهة « الحشوية
الناطقة أمثال أحمد بن حنبل وداود الاصفهاني » (العيون : ١٢ أ / نصيحة العامة :
٢٣) . قال ابن قتيبة : « أطلق المعتزلة ألسنتهم في أهل الحديث ولقبوهم
بالحشوية والناطقة » (تأويل مختلف الحديث : ٩٦) .

٢. « كرامة » مخففاً لا « كرامة » مشدداً (كما في الاعلام للزركلي ٥ : ٢٨٩ وغيره) ،
على ما يشهد به شعر معاصره على بن أبي صالح الخواردي في مدحه :

ألا يا ضارباً في الارض أقصر	فما تبغيه عند ابن الكرامة
أقول لمن غدا يبغى مزيداً	عليه علمت أنك في الكرى، مه
أليس يقابل الطلاب مهما	تلقوه بير او كرامة
بجشم مبولاً كل صدق	فذا كالريم وهي له كرامة
أبا سعد بقيت فكل شخص	يروم الفضل حقاً منك رامه

(تاريخ ييهق لابن فندق : ٢١٣) .

٣. هكذا : المحسن بن محمد بن كرامة بن محمد بن أحمد بن الحسن بن كرامه
ابن ابراهيم بن اسماعيل بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن الحنفية ، ابن الامام
علي بن أبي طالب (تاريخ ييهق : ٢١٣) .

٤. بكسر الجيم الفارسية وضم السين المعجمة ، من قرى ربع « كاه » ، على جانب
قرية بروغن كما ذكره ابن فندق (المتوفى ٥٦٥) في كتابه تاريخ ييهق : ٣٨ ،

من ضواحي بيهق بخراسان في شهر رمضان سنة ٤١٣ ، وقتل بمكة غيلة في الثالث من رجب سنة ٤٩٤ عن واحد وثمانين عاماً ، وكان قتله حسب ما أجمعت عليه المصادر بسبب رسالته المسماة «رسالة ابليس الى اخوانه» . كان في الفقه حنفياً حتى الاخرى من عمره ثم انتقل الى مذهب الزيدية ، وفي الاصول معتزلياً من أتباع مدرسة القاضي عبد الجبار^(١) بلغت مصنفاته اثنين واربعين كتاباً ، بقي منها:

(١) **التأثير والمؤثر** ، في الكلام ، منه مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٢١١٩ .^(٢)

(٢) **تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين** ، جمع فيه الايات التي نزلت في أمير المؤمنين علي وسائر أهل البيت مرتبة بحسب ترتيبها في السور وعقبها بذكر الآثار والخبار الدالة على أنها نزلت فيهم . منه مخطوطتان في المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء (رقم ٣٢ مجاميع : ورقة ١ - ٤٧ ورقم ٢٨٧ مجاميع : ورقة ١ - ٢٧)^(٣) ومصورة بدار الكتب المصرية (رقم ٢٧٦٢٢ ب)^(٤).

وهي الان موجودة معروفة بنفس الاسم في رستاق كاه وداورزن من محال سبزوار (بيهق) على جانب قرية بروغن ، فراجع لغت نامه دهخدا ، حرف ج : ١٩٤ / فرهنگ آباديهاى كشور : المجلد الرابع ، سبزوار : ٤٩ والمخرايط . وقد خرج من هذه القرية كثير من الفضلاء في العصور الوسطى ، ترى ذكر عدة منهم في تاريخ بيهق .

١. فذكر ابن شهر آشوب (معالم العلماء : ٨٣) والعلامة الحلبي (ايضاح الاشتباه : ٧١) له في عداد علماء الامامية مبنى على التسامح أو عدم معرفتهم به ، فالرجل يتهجم على الامامية في آثاره كثيراً .
٢. الحاكم الجشمي لعدنان زررور : ٤٩١ .
٣. فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ، تأليف محمد سعيد المليح وأحمد محمد عيسوي (صنعاء - ١٩٧٨) : ٦٦ و ٨٢٧ .
٤. الحاكم الجشمي لعدنان زررور : ٤٩١ .

٣) التهذيب في تفسير القرآن ، في عدة مجلدات . يوجد في أمبروزيانا وفاتيكان (١) وصنعاء (٢) .

٤) جلاء الابصار في فنون الاخبار . ينقل عنه ابن اسفنديار في كتابه تاريخ طبرستان (٣) ويوجد في صنعاء برقم ١٣٧ حديث (٤) .

٥) رسالة ابليس الى اخوانه ، وهي هذا الكتاب .

٦) السفينة الجامعة لانواع العلوم ، جمع فيها سيرة الانبياء وسيرة النبي وأحوال الصحابة والعترة الى زمانه ، في أربع مجلدات. توجد في أمبروزيانا (٥) وصنعاء (٦) وغيرهما (٧) ، ونقل منها كثيراً في كتاب « المقصد الحسن » ل احمد ابن يحيى بن حابس الصعدي (٨) وفي « قواعد عقائد آل محمد » للديلملي (٩) وفي كتاب « الترجمان » لابن مظفر وغيرها .

٧) شرح عيون المسائل ، في الكلام ، يوجد في المتحف البريطاني (١٠)

١. انظر بروكلمن ١ : ٥٢٤ (٤١٢) والملحق ١ : ٧١٣ / الاعلام للزركلي

٥ : ٢٨٩ .

٢. الفهرس : ١٠ .

٣. أنظر ١ : ١٠١ منه .

٤. الحاكم الجشمي لعدنان زررور : ١٠٧ - ١١٠ و ٤٩١ .

٥. أنظر بروكلمن ، الملحق ١ : ٧٣١ .

٦. الفهرس : ٤٠٧ و ٨١٩ .

٧. الحاكم الجشمي لعدنان زررور : ١١١ و ٤٥٢ .

٨. نفس المصدر : ١١١ .

٩. طبعة شتروطمان (استانبول - ١٩٣٨) : ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

١٠. أنظر بروكلمن ١ : ٥٢٤ (٤١٢) .

وأمبروزيانا^(١) وايدن^(٢) وصنعاء^(٣) ، ونشر فؤاد سيد قسماً منه في مجموعة « فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة » (تونس - ١٩٧٤ ، ص ٣٦٥ - ٣٩٣) .

٨ (عيون المسائل أو العيون في الرد على أهل البدع ، هذا الذي شرحه بالكتاب المذكور أعلاه . يوجد في أمبروزيانا^(٤) .

٩ (نصيحة العامة أو الرسالة التامة في نصيحة العامة ، بالفارسية ، وتوجد ترجمة منها بالعربية لمترجم متأخر عن المؤلف ، قال في أوله : « هذا كتاب جمعه الامام شيخ الاسلام أبو سعد المحسن بن محمد بن كرامة الخراساني البيهقي الجشمي رحمة الله عليه بالفارسية . . . وسماه الرسالة في نصيحة العامة . فأردت أن يستفيد بهذا الكتاب أصحابنا من أهل اللغة العربية كما استفاد به أصحابنا من العجم ، وما أمكن ذلك الا بأن نقلته الى اللغة العربية . . . وظني أنه لا يخلو من خلل في عبارة العربية وللناظر فيه والسامع أن يصلحه ويقومه . . . » .
توجد في أمبروزيانا^(٥) وصنعاء^(٦) ، وقطعة منها في بيان مذاهب الباطنية في استانبول^(٧) ، وقد نشرت هذه القطعة^(٨) .

* * *

١. فؤاد سيد في مقدمته على القسم المطبوع منه : ٣٥٧ .
٢. Encyclopaedia of Islam ، الطبعة الثانية ، الملحق : ٣٤٣ .
٣. الفهرس : ١٨١ .
٤. بروكلمن ، الملحق ١ : ٧٣١ .
٥. نفس المصدر ، الملحق ١ : ٧٣١ .
٦. الفهرس : ٢١٠ .
٧. بروكلمن ، الملحق ١ : ٧٣١ .
٨. نشرها محمد تقي دانش پزوه في نشرية دانشكده ادبيات تبريز ١٧ : ٢٩٩-٣٠٦ .

« رسالة ابليلس الى اخوانه المناحييس » هكذا سماها الجنداري في رسالته^(١)،
وذكرها ابن شهر آشوب^٢ والعلامة الحلبي^٣ بعنوان « رسالة ابليلس الى

للتوسع في ترجمة الجشمي انظر :

تاريخ بيهق لابن فندق : ٢١٢ - ٢١٣ (وراجع ١٢٥ ، ١٤٥ ، ١٨٥ ، ٢٠٥ ،

٢٢١) .

معالم العلماء لابن شهر آشوب : ٨٣ .

المنتخب من كتاب السياق لتأريخ نيسابور للصريفيني (قم-١٤٠٣) : ٦٩٢ - ٦٩٣
ايضاح الاشتباه للعلامة : ٧١ .

كتاب الترجمان لمحمد بن احمد بن يحيى بن مظفر ، مخطوطة المتحف البريطاني رقم
Add 18513 : ٥٨ .

رياض العلماء للافندي ٤ : ٤٠٨ .

أمل الامل للحر العاملي ٢ : ٢٢١ .
نضد الايضاح لعلم الهدى الكاشاني : ٢٦٠ .

نبذة في رجال شرح الازهار للجنداري (القاهرة-١٣٣٢ مع كتاب المنتزع المختار
لابن مفتاح) : ٣٢ .

بروكلمن ١ : ٥٢٤ (٤١٢) والملحق ١ : ٧٣١ - ٧٣٢ .

يادداشت هاي قزويني ٢ : ١٥٧ - ١٦٢ .

الاعلام للزركلي ٥ : ٢٨٩ (بيروت - ١٩٧٩) .

مقدمة فؤاد سيد علي القسم المطبوع من شرح عيون المسائل للجشمي في مجموعة
« فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة » : ٣٥٣ - ٣٥٨ .

الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن لعدنان زرزور (دمشق - ١٣٩١)

Der Imam al - Qasim ibn Ibrahim لويلفرد ماديلونغ : ١٨٦ - ١٩١
ومقاله عن الجشمي في Encyclopaedia of Islam الطبعة الثانية ، الملحق :

٣٤٣ .

١ . نبذة في رجال شرح الازهار : ٣٢ .

٢ . معالم العلماء : ٨٣ .

٣ . ايضاح الاشتباه : ٧١ .

المجبرة»^١ وآخرون بعنوان «رسالة أبي مرة الى اخوانه المجبرة»^٢ أو «رسالة الشيخ أبي مرة»^٣ ، وهي تبدو بعنوان «الدرة على لسان الشيخ أبي مرة» في مخطوطة صنعاء^٤ وبعنوان «رسالة ابليس الى اخوانه من المجبرة والمشبهة في الشكاية من المعتزلة» في مخطوطة طهران ، هذه الرسالة التي قتل المؤلف بسببها ، نقدمها هنا مطبوعة على أساس نسخة مكتبة المجلس بطهران (رقم ١٠٧٢٧ ، ورقة ١٢ ب - ٤٠ أ) المكتوبة في آخر شهر جمادى الاخرى سنة ٧٣٢ . أما نسخة صنعاء (رقم ١ / ٥٨ علم الكلام) المكتوبة في ١٧ شهر جمادى الاخرى سنة ١٣٤٣ فلم نستطع أن نستفيد منها ، والا لا يمكن أن تعيننا في حل بعض ما أشكل علينا من نسخة طهران .

أما عملي في هذا الكتاب فينحصر في تقديم النص كما هو في مخطوطة طهران ، من دون تخريج لما يشير اليه المؤلف من الاحاديث والاشعار (عدا بعض الموارد النادرة) ، أو شرح للاراء الكلامية التي يبحث عنها كثيراً في كتب المال والنحل (أي ما كتب عن الفرق والعقائد الاسلامية) لان ذلك يحتاج الى فسحة من الوقت لأجد الى ذلك سبيلا . وانما قمت بهذا العمل احياء لاثر

١ . كتاب الترجمان لابن المظفر : ٥٨ أ .

٢ . عدنان زرزور نقلا عن طبقات الزيدية ليحيى بن الحسين ، ورقة ٣٤ من مصورة دار الكتب المصرية (رقم ١٥٦٣٢ ح) ونزهة الانظار ليحيى بن حميد ، ورقة ٢١ من مخطوطة صنعاء (رقم ٩٠ مجاميع) .

٣ . زرزور ايضاً نقلا عن مطلع البدور للصنعاني ٤ : ٤١٣ - ٤١٤ من مخطوطة دار الكتب (٤٣٢٢ تاريخ) .

٤ . الفهرس : ١٦٢ .

من التراث الكلامي الاسلامي ، وهذا - كما هو واضح - لايعني بوجه من الوجوه الموافقة على ما جاء فيه . والله من وراء القصد .

جامعة برينستن - ١٤٠٦ هـ - حسين المدرسي الطباطبائي

قال في كتابها في تفسيره قصصاً من كتابها قوله الله اومئذ قلوا لا اله الا الله (ص ٧١٧)
قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧) قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧) قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧)
قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧) قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧) قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧)
قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧) قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧) قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧)

قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧) قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧) قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧)
قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧) قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧) قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧)
قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧) قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧) قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧)
قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧) قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧) قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧)

١٨٥٠ : قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧)

١٨٥١ : قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧)

١٨٥٢ : قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧)

١٨٥٣ : قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧)

١٨٥٤ : قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧)

١٨٥٥ : قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧)

١٨٥٦ : قوله لا اله الا الله (ص ٧١٧)

بسم الله الرحمن الرحيم ثم بمصالح
 من اعتزلة وهو في عشر بابا الاول
 من قوله اني انا من افكاري ابي ثاني بعد معاشر انواع كثر الله عدولا واطلال
 رديكم ولقد علمتم وايضا انه لا موافقة في وقت مواذية الاعتقاد وان وجد الائمة
 اعلم من المطابقة في الغايات جعلت القلوب على سبيلها حتى يتوأم منها الاربع
 من سبيل يتعالم عليها الخامس في رافقتك في ذلك القوية الطبيعية فودت
 معها الايات والامام والتصرف في الامار ونطقه الكتاب والقرآن عليه سادس
 الايات سابع اتم المؤمن اخوة والمؤمنين والمؤمنات بعضهم لبعض
 بعض من القاطنين والمواقفات بعضهم من بعض وودوا ان الله مع قال
 الله ان الله يحب من آمن بالله واليوم الآخر واتقوا الله واعلم ان الله
 بالمعادي ان الله والجنة الله والرضى في الله قال تعالى
 ان من يسر لنا بالدين في الدين يقطع فيه والوالد اولاد وودعت
 ان يساعده لما بالدين في الدين يقطع فيه والوالد اولاد وودعت
 ذلك وكان من الحزبين الكافرين فان اولادهم بشر بالجملة الا انهم
 كانت من الغاب ثامن عزم احلك الذين قالوا انهم اسركوا موسى في البيرة
 اخاه والائمة توارثت من موسى فان عذبت بالاولاد وعزيت من اهلهم
 وقالوا انهم لجانا ان يقولوا ان الله وانه اركب باليستات من نبي وان
 الملبس عن حياها وان كان هامة تاسع وساد اهلها وان كان فارسا كان
 فيهم ساعيل الموانع التي بين النصارى والملة والتعاود في الظلمة
 ولقد علمت معاشر الخراف ما يدبر فيكم من موافقة الاعتقاد وما يجمع
 والامر من خلقه الوردان فاعة اعتمادى عليكم واعترادى لكم وانعطاء
 لكم راسم الهدى استمعوا واليه تكون على سبيل فيسرون سائلا بكم وودت بها
 كنه فانه حق والماستك وان الشاعرة غيرتنا وعنانا بقوله العزائم
 ومراهم الاربع ان الله الصخرة البصرة ولقد علمت معاشر اخوانه بالقبيلة
 من زمان المعصرة قد بارحوا ولقد علمت معاشر اخوانه بالقبيلة

قد اجدنا في هذا القتال وكنت امسككم واستصمكم بنادوا اهلنا و
 يشنا بعض اهلنا فقم وسعهم وانتم تحبونا فلاحم هو اليوم والشبيبة
 من جبهتي اتهمون وكان ذلك من عظيم وخطب جسيم
 هم ولهم مدد العالمين وصلى الله على محمد حاتم المصطفى
 على اهل بيته الطاهرين
 اسبوع الرابع من ايام شهر رمضان المبارك
 الذي فيه اسبوع من شهر رمضان المبارك
 كالمسبوع الرابع من شهر رمضان المبارك
 وهو اسبوع من شهر رمضان المبارك

اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك

اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك

اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك

اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك
 اسبوع من شهر رمضان المبارك

رسالة ابليس الى اخوانه المناحيس

رأى كلاً باباً

رحمتهما من كمالها في رحمة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تمم بفضلك

توكلت على الله واستعنت به

رسالة إبليس إلى اخوانه من المجرورة والمشبهة في الشكاية عن

المعتزلة

وهي ستة عشر باباً :

باب الأول في بيان حال إبليس

باب الثاني في بيان حال إبليس

باب الثالث في بيان حال إبليس

باب الرابع في بيان حال إبليس

باب الخامس في بيان حال إبليس

باب السادس في بيان حال إبليس

الباب الاول

في ماصدر به الرسالة من الشكوى

أما بعد ، معاشر اخواني - كثر الله عددكم وأطال مددكم - لقد علمتم وأيقنتم أنه لاموافقة فوق موافقة الاعتقادات ولامطابقة أعظم من المطابقة في الديانات، جبلت القلوب على حبها حتى يتواصل فيها الاجانب ويتقاطع عليها الاقارب ، ووافقت في ذلك الشريعة الطبيعية ، فوردت فيها الايات والابخار والنصوص والاثار ونص به الكتاب واتفق عليه ذووالباب ، فقال الله تعالى : « انما المؤمنون اخوة »^(١) و « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعضهم »^(٢) و « المؤمنا فقومن والمؤمنات فقات بعضهم من بعض »^(٣). ورووا أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلّم - قال لابي ذر : أتدري أي عرى الاسلام أوثق ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : الموالاتة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله . وقال شاعرهم :

ان لم يكن بيننا قريبي فأصرة في الدين أقطع فيه الوالد الولدا
وقد علمتم أن نوحاً - عليه السلام - لما سأل ربه أن يبقى ابنه أجيبي « انته »

١. القرآن الكريم ، سورة الحجرات (٤٩) : ١٠ .

٢. سورة التوبة (٩) : ٧١ .

٣. نفس السورة : ٦٧ .

لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ»^(١) لمخالفته لك في دينك «وكان من المنفردين»^(٢) مع الكافرين ، وأن لوطاً - عليه السلام - بشر بالنجاة «الا امرأته كانت من الغابرين»^(٣) ، و ابراهيم - عليه السلام - لاجل الدين خالف أباه ، وأشرك موسى في النبوة أخاه ، وأن آسية تبرأت من فرعون وان عذبت بالاو تاد ، وحزبيل تبرأ منه وقال: «أَتَقْتَلُونُ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ»^(٤) ، وأن أبا لهب عد أجنبياً وان كان هاشمياً ، وعد سلمان أهلياً وان كان فارسياً . كل ذلك بناء على الموافقة في الشريعة والتناصر في الملة والتقارب في النحلة .

ولقد علمتم معاشر اخواني ما بيني وبينكم من موافقة الاعتقاد وما يجمعني واياكم من خلوص الوداد، فان اعتمادي عليكم واعتمادي بكم وانقطاعي اليكم، وانتم الذابون عني والسالكون على سنتي، فينوبني ما نابكم ويرويني ما رابكم ، فأنتم مني وأنا منكم ، وكان الشاعر عبّر عنّا وعنانا بقوله :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا فاذا أبصرتني أبصرتنا^(٥)

ولقد علمتم معاشر اخواني ما لقيت و [عانيت] من هؤلاء المعتزلة قديماً

١ . سورة هود (١١) : ٤٦ .

٢ . نفس السورة : ٤٣ .

٣ . سورة الاعراف (٧) : ٨٣ .

٤ . سورة غافر (٤٠) : ٢٨ .

٥ . تمامه - على ما في رسالة السوانح في المشق لاحمد الغزالي : ١٩ (طبع هلموت

ريتر ، استانبول - ١٩٤٢) : ٧ ، وغيرها من المصادر الكثيرة - هكذا :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

فاذا أبصرتني أبصرتنه واذا أبصرتنه أبصرتنا

وحديثاً . ولقد عظمت فتنتهم واشتدت شوكتهم وعات كلمتهم وظهرت مقاتلتهم وحقبتهم وكنت أحسبهم في الانس فاذا هم في الجن أكثر ومذاهبهم أكثر وعددهم أوفر، قد طبقوا البر والبحر والسهل والجبل، فلابد الاولهم فيها داع ومدرس وخطيب ومصنف يصرخون بمذاهبهم على المنابر ويملاؤون الدنيا بالكتب والدفاتر. وقد جمعت بينهم وبين اخواننا من مجبرة الجن كثيراً وتدبرت مع خواصي في شأنهم تدابير فلم ينفذلي فيهم حيلة ولا مكيدة . كنت أطمع في كل مرة أن أفحمهم فأفحمونا وأرجو أن أقطعهم فقطعونا وأؤمل أن أفضحهم ففضحونا ، وبلغ من أمرهم أن قابلوني بقبیح الفعل وجبهوني واياكم باللعن وسوء المقال . وفي كل ذلك أنتم الذابون عني والناضلون دوني . ولكن لا ينفخ التوازر والقتال ولا ينجع فيهم المقال . ان قاتلناهم هزمونا وان قاولناهم أفحمونا وان تركناهم لعنونا ، وان قلنا نحسن العشرة تلوا : « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ »^١ ، وان طلبنا الموافقة قرأوا : « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ »^٢ ، وان رمنا المصالحة تلوا : « قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ »^٣ ، وأنشدوا :

ليس بيني وبين قيس عتاب غير طعن الكلا وضرب الرقاب^٤

وإذا قلنا لهم دعوا ما أنتم فيه فقد وقعتم في تيهه، قالوا أشيء نقدر على تركه؟ فان قلنا « نعم » قالوا تركتم المذهب ، وان قلنا « لا » سخروا منا واستهزؤا بنا

١. سورة المجادلة (٥٨) : ٢٢ .

٢. سورة الكافرون (١٠٩) : ١ .

٣. سورة التوبة (٩) : ٢٩ .

٤. ورد البيت في العقد الفريد لابن عبدبره ٣ : ٤٧٣ (طبعة أحمد أمين) منسوباً الى

رجل من الاعراب .

وقالوا فإذا السكوت أحرى. ولقد ضاق صدري وعيل صبري، وقد كتبت اليكم اخواني ما جرى بيني وبينهم من المقامات وما لقيت ولقيتم من النكبات، تحقيقاً لما ذكرت وتصديقاً لما قدمت، لتكون يداً واحدة عليهم ومتعاونين على دفعهم. وقد علمتم اخواني أن من الواجب في الدين نصيحة الاخوان والاتباع، وبذل الامانة للاشياء. ألا واني أبلغكم ما لا تعلمون، وأنصح لكم فأنا لكم ناصح أمين. فاجتنبوا مجالسهم ومدارسهم، ولا تستمعوا الى كلامهم ومواعظهم، وجنبوا اشياءكم وعوامكم ونساءكم وصبيانكم، فان لكلامهم حلاوة وعليه طلاوة تحير ذوى الالباب وتدخل في القلب بلا حجاب. ومن عظيم فتنتهم أن سموا أنفسهم بالموحدة العدلية وسمووا بالمجبرة القدرية، فرمونا بالالحاد ونسبونا الى الفساد.

ولقد مررت بقاص من الجن يتكلم في قوله تعالى « وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ »^(١) وهو يقول: يا معشر الجن! الجهاد أربعة: جهاد النفس بالصبر عن العصيان، وجهاد الكفار بالسيف والسنان، وجهاد أهل البدع بالحجة والبرهان، وجهاد أهل الكبائر بالموعظة والبيان. ثم قال: أما جهاد النفس فقد قال الله تعالى: « فَتَمَّامًا مِنْ خَافٍ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ »^(٢) وانه تعالى قدم الحجة وبين نفسه أتى، وان العبد مخير فمن شاء فليؤثر من ومن شاء فليتكفر^(٣). وأما

١. سورة الحج (٢٢) : ٧٨ .

٢. سورة النازعات (٧٩) : ٤٠ .

٣. سورة الكهف (١٨) : ٢٩ .

جهاد الكفار وأرباب الضلال فمن أعظم الطاعات، قال الله تعالى: « وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ »^(١) وهو من دعائم الاسلام وأركان الدين . وأما جهاد أهل البدع - وهم المجبرة والمشبهة - فمن أعظم الامور وفرض على الجمهور، وقد قال الله تعالى: « ادعُ الى سبيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِلِتْنَى هِيَ أَحْسَنُ »^(٢) ، فلا فتنة أكبر من فتنتهم ولا ضلالة أعظم من ضلاتهم ، حيث شبهوا الله بخلقه وأضافوا القبيح الى صنعه ، وقد بلغنا من رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في ذم المبتدعة آثار جمة ، فقال - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : من قرصاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام، وقال لعائشة وقد سألته عن قوله تعالى « انَّ الَّذينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ »^(٣) من هم؟ قال - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : هم أصحاب البدع من هذه الامة ، يا عائشة ! لكل ذنب توبة الا أصحاب البدع فانه ليست لهم توبة ، أنا منهم بريء وهم مني براء . وأما جهاد أهل الكبائر فقوله تعالى « وَأْمُرْ بالمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ المُنْكَرِ »^(٤) . والقوم حوله يبكون واياي واياكم يلعنون . فأخذني ما قرب وما بعد ، ولا أقدر على منع ولا أجد عوناً على دفع .

ولقد مررت بقاصّ منهم يقصّ والقارىء يقرأ : « وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذينَ كَذَبُوا عَوَى اللهِ وَجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ »^(٥) وهو يقول : بلغنا عن

١. هذا تكرار للاية الاولى ، والانسب قوله تعالى : « يا أيها النبي جاهد الكفار

والمنافقين واغظ عليهم » (سورة التوبة - ٩ - : ٧٣) .

٢. سورة النحل (١٦) : ١٢٥ .

٣. سورة الانعام (٦) : ١٥٩ .

٤. سورة لقمان (٣١) : ١٧ .

٥. سورة الزمر (٣٩) : ٦٠ .

الحسن وجماعة من العلماء قالوا : يؤتى بالشیطان يوم القيامة فيقال له : هلا سجدت اذ أمرت ؟ قال : فيقول الشيطان لاني ما قدرت عليه ولاكنت منه وحيل بيني وبين السجود وخلق فيّ الاباء ، ولو خلّيت لسجدت . فقيل له : كذبت بل من قبل نفسك أتيت . فقال : لي شهود يشهدون على ماقلت ، فينادى : أين شهود الشيطان وخصماء الرحمن ؟ فيقول جماعة المجبرة : صدق الشيطان ، ويشهدون له ، فيخرج من أفواههم دخان أسود يسود وجوههم ثم يبعث به معهم الى النار . وذكر عن علي - عليه السلام - حديثاً طويلاً أن المجبرة خصماء الرحمن وشهود الشيطان وقدرية هذه الامة ومجوسها . والقوم يرفعون أصواتهم باللعن علي وعليكم ، ويقولون لعن الله الشيطان وأتباعه وأشياعه . فقال بعض المشايخ : فمن كان معي أيها الشيخ ؟ اليك المشتكى في عظيم هذه البلوى ، دبرنا في أمرهم . فقام معتزلي من الجن ، فقال : التدبير هو الصبر أو القبر ، ثم أنشأ يقول :

رب من أشجاه ذكري وهو لم يخطر ببالي
قلبه ملان ممن بغ ضي وقلبي منه خالي

ولقد مرت بقاص من أصحابنا شيخ كبير وحواله جماعة من أصحابنا وهو يقص ، فقرأ قارئ قوله تعالى «وَنَادَاهُمَا رَبَّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَن تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ»^(١) . فقال ذلك الشيخ : أيها القوم ! الصدق منجاة ، ما ذنب الشيطان في الوسوسة ؟ وما ذنب آدم وحواء في أكل الشجرة ؟ أما علمتم أنه خلق الوسوسة في الشيطان ومنعه عن خلافه ، وأراد منه وقضاه عليه ، وخلق الاكل فيهما ولم يقدر تركه وأراد منهما الاكل ، ثم يقول : « أَلَمْ أَنهَكُمَا عَن تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ » الآية ،

١ . سورة الاعراف (٧) : ٢٢ .

فمن الشيطان حتى يقدر على شيء؟ ومن آدم وحواء حتى يقدر على اكل الشجرة؟ الكل من الله . وبكى وبكى الناس حوله وقالوا : صدقت! فقام من غمار الناس معتزلي أخذته الرعدة وعينه تفيض من الدمع ، وقال : أف لكم يا معشر المجبرة وسوأة لكم ! أتبرئون الشيطان وتوركون الذنب على الرحمن؟ أما تستحيون من ربكم؟ أما لكم عقل يردعكم؟ أما لكم دين يمنعكم؟ أف لَكُمْ وَإِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟^(١) وارتفعت الضجة وتفرق الناس ، وأنا شاكر لسعيكم ذاكر لما كان منكم .

واجتمع عندي المشايخ يتذاكرون ماجرى . فقام معتزلي من الجن وقال : يا قوم لم لم يسجد هذا الشيطان لادم وقد أمر به؟ فقالوا: لانه منع منه بموانع كثيرة ، لم يخلق فيه السجود و [لا] قضاة ولاأراداه ولاأقدره عليه ، بل خلق فيه تركه وأراداه وقضاة ، وخلق فيه القدرة الموجبة لتركه وأغراه بتركه وزين ذلك في قلبه ، ثم كلفه ما لا يقدر عليه ، فما ذنب المسكين؟ فقال معتزلي: فلماذا عاقبه؟ فقالوا : الملك ملكه ، لو عاقب آدم وسائر الانبياء والابرار وأثاب فرعون وسائر الكفار كان عدلا منه . فقال لهم : بعداً لكم وسحقاً مع هذه المقالة ! فقصدوه بالنعال فهرب . وعرفتم حقي وقضيتم ذمامي .

ولقد جمعني واياكم واياهم مجلس فقرأ قارئ : « الـمَ اَعْهَدَ اِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ اَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ اِنَّهٗ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَاَنْ اَعْبُدُوْنِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ . وَاَعْهَدَ اٰزَلًا مِّنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيْرًا » الاية^(٢) ، فقال صدر من صدور المجبرة وشيخ من مشايخهم : ما ذنب هذا المسكين يلعنه ويوبخه؟ أليس خلق فيه العداوة والاضلال، فما بال هذا الاعتلال؟ فقال القوم : صدقت!

١ . سورة الانبياء (٢١) : ٦٧ .

٢ . سورة يس (٣٦) : ٦٠ - ٦٢ .

وقام معشر من المعتزلة وقالوا : كذبت وكذبوا ! بل الله بريء من ذلك . ولعنوني واياكم ، وارتفعت الضجة ، وتعدى المقال الى القتال ، وتفرقنا ونحن على شرح حال .

وحضرتني جماعة من المشايخ يوم عيد وشكوا المعتزلة وقالوا : فعلوا بنا كذا وقالوا لنا كذا، واذأ واحد من غمار الناس يصيح ويقول: من فعل ذلك ومن قال ؟ أنحن فعلنا فقد تركتم مذهبكم ، أو الله فعل فارضوا بقضائه والاكفرتم . فلقد علمتم ما فعل الناقص^(١) بأخينا الوليد^(٢) حين خرج عليه في الغيلانية^(٣)، وسمعتهم ما فعل من الافاعيل بالمروانية ، وبلغكم ما نالوا به أصحابنا في أيام العباسية، وما فعله المأمون^(٤) وأقرانه بنا من تشتمت كلمتنا والاغراء بأهل مقاتلتنا، وما جرى من القتل والصلب أيام ابن ابي دواد^(٥) ، وما كان من قطع اللسان أيام

١ . هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، الخليفة الاموى . ثار على ابن عمه الخليفة الوليد بن يزيد وقتله واستولى على الخلافة فى مستهل رجب ١٢٦ ، ومات فى ذى الحجة من نفس السنة . قبل انـه كان أعدل بنى أمية بعد عمر بن عبد العزيز .

٢ . هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، عاشر الخلفاء الامويين . ولى الخلافة بعد عمه هشام بن عبد الملك فى سنة ١٢٥ ، فمكث سنة وثلاثة اشهر ، ونقم عليه الناس سوء سيرته وحببه للهو فبايعوا ابن عمه يزيد الناقص وقتلوه .

٣ . فرقة من القدرية ، أتباع غيلان بن مسلم الدمشقى الذى كان يقول بأن القدر خير منه وشبهه من العبد ، وأن الامامة تصلح فى غير قريش ولا تثبت الا باجماع الامة . قتله هشام بن عبد الملك الاموى .

٤ . هو عبد الله بن هارون الرشيد ، سابع الخلفاء العباسيين . ولى الخلافة بعد خلع اخيه الامين فى سنة ١٩٨ ومات فى سنة ٢١٨ .

٥ . هو القاضى أحمد بن ابي دواد الايدى المعتزلى ، قاضى قضاة المعتصم ثم الواثق العباسيين . مات فى سنة ٢٤٠ .

ابن عباد^(١) ، وما كان من نصرة العلوية الخارجين في نصرة الاعتزال، وما جرى على أصحابنا من ملوك آل بويه من الاذلال ، ثم ما كان في أيام ركن الدولة^(٢) من محن جملة وبليّة وغمة من شيخ مصفوع ومجلس مرفوع ومذهب مدفوع . ولقد اجتمعت معزلة من الجن علي وعلى أتباعي وعلى أعواني وأشياعي واخواني من المقال والفعال، فمنحن بين ثلاث: بين فقيه منبر [هـ] منكوس وحظه مبخوس ونجمه منحوس ، وبين ثان في السجن محبوس وله من الذل والصغار ملبوس، وبين ثالث ترك عمره ودخل بغمة قبره ، فاليكم المشتكى وبكم المستعان .

١. هو الصحاح اسماعيل بن عباد بسن العباس الطالقاني ، استوزره مؤيد السلولة البويهى ثم أخوه فخر الدولة . مات فى سنة ٣٨٥ .

٢. هو الحسن بن بويه الديلمى ، من كبار الملوك فى الدولة البويهية . استمر فى الملك ٤٤ سنة ، ومات فى سنة ٣٦٦ .

الباب الثاني

فى التوحيد والتشبيه

فكرت وقلت : مدار هذا الامر على التوحيد وبذلك باينت هذه الفرقة سائر الفرق وهذا الدين سائر الاديان ، وعلمت أن مما أجمعوا عليه وعلم من دين الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ضرورة أن الله تعالى واحد لا ثاني له ولا شبه له ولا مثل له ، وأني ان ألقيت اليهم خلاف ذلك لا يقبلون ، فدبرت وأتيت من خلفهم وأيمانهم وشمائهم كما وعدت ، وقلت : لا بد لهذا الامر من تحصيل ولهذه الجملة من تفصيل . فألقيت اليهم التثنية والتثليث معنى وان خالف لفظاً ، وقلت : ان مع الله قدماء : قدرة قديمة وعلم قديم وحياة قديمة ، حتى أقيمت القدماء التسع وأكثر .

فقبلتم عني أحسن قبول وصنفتهم فيه الكتب ودرستم بذلك في المدارس وناظرتهم في ذلك فى المجالس . غير هؤلاء المعتزلة من الجن والانس فانهم أبوا أشد الالباء وقابلوني بالعداوة والبغضاء ، وقالوا : هذا موافقة للمانوية فى التثنية ، وللنصارى فى التثليث ، وللطبايعية فى قدم الطبايع الاربعة ، وللمنجمين فى القول بقديم الكواكب السبعة . وانما الدين القويم بأن الله واحد قديم وماسواه محدث ، فهذا موافقة جمل دين المسلمين ومأتى به خاتم النبيين .

وزاد شيخنا أبو عبد الله بن الكرام^(١) حتى عد قدماء كثيرة وسماها أعراضاً

١ . هو محمد بن كرام السجزي النيسابورى ، امام الكرامية . ولد بسجستان وجاور بمكة سنين ثم انتقل الى نيسابور ، ومات بالقدس سنة ٢٥٥ .

وأغياراً . فكفرهم المعتزلة بذلك ، وذكروا في ذلك حججاً وتلوا : « لَمَّا دَكَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ »^(١) . وذكروا أن نصرانياً كان يناظر في الكلام ، فاذا أتاه مجبر قال : أليس أن الله خلق في الكفرة وأنا لأقدر على تركه؟ فقال : نعم [فقال:] فما معنى مناظرتك؟ ، واذا أتاه مشبه قال : أنت يا أخي زدت علي ! فاني قلت ثالث ثلاثة وأنت تقول رابع أربعة وخامس خمسة وتاسع تسعة ، واذا جاء المعتزلة فقال : خذ السلاح وآخذه فالقتال بيني وبينك .

فصل

فكرت وقلت : ان ألقيت اليهم عبادة الوثن لا يقبلون ، وألقيت ماهو في معناه . فألقيت اليهم بأن الله ذو صورة وذو أعضاء ، له وجه وجنب ويد وساق وعين ولسان ، وأنه جسم . وأما المعتزلة فقابلوني بالرد وقالوا : هذه عبادة الاوثان ونعوذ بالله من نزعات الشيطان ، وذكروا أن الله تعالى ليس بجسم ولا عرض ولا يشبه شيئاً ، وأنه تعالى ليس له أعضاء ولا أكفاء وأنداد وأضداد ، وأنه واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير^(٢) ، وأنه لو كان جسماً لكان مؤلفاً مركباً مصوراً محدثاً - تعالى الله عن ذلك - . وأما أنتم فقبلتم أحسن قبول وصنفتهم فيه التصانيف ورويتهم فيه الاحاديث ووضعتهم فيه الاسانيد ، وفصلتم عضواً عضواً وجعلتم لكل عضو باباً ودونتم في كل باب كتاباً وسميتموها مذاهب السنة والجماعة .

فسئل شيخنا الهليلجي عن قوله تعالى « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » مامعناه

مع قولك أنه جسم ذو أبعاد وأعضاء ؟ فقال : هذا لامعنى له !

١ . سورة المائدة (٥) : ٧٣ .

٢ . سورة الشورى (٤٢) : ١١ .

وسئل أحمد بن عباس عن قوله تعالى : « وانَّ لَهُ عِنْدَنَا لَازْلَفَى » (١) ،
قال : هو الدنو . وكان يقول (٢) بالمؤانسة والمجالسة والمحادثة والخلوة .
وسأل بعضهم عن قوله تعالى « عِنْدَ مَلِيكَ مُقْتَدِرٍ » (٣) فقال : يقعده معه
[على] سريره - ويغلفه بيده - .

وسأل بعضهم معاذ العنبري (٤) : أله وجه؟ قال : نعم ، لا كالأوجه . قلت :
فعين؟ قال : نعم ، حتى عددت جميع الاعضاء من أنف وأذن وصدر وبطن وهو
يقول نعم ، فاستحييت أن أذكر الفرج فأوميت بيدي الى فرجي ، فقال : نعم!
فقلت : ذكر أو أنثى؟ قال : ذكر! ففرح القوم . غير هؤلاء المعتملة فانهم لعنوه
وكفروه .

ولقد شكرنا جميعاً سعي ابن خزيمة (٥) في تصنيفه كتاباً في أعضاء الله ،
وذكره ما يشهد . وذكر بعض أصحابنا أنه أشكل عليه من أعضائه لا يجد (٦) ذلك

١ . سورة ص (٣٨) : ٢٥ ، ٤٠ .

٢ . من هنا الى آخر قصة فاطمة ويزيد ورد في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
٣ : ٢٢٤ - ٢٢٧ (من طبعة محمد ابو الفضل ابراهيم) غير منسوب ، وقد
أكملنا النص هنا في بعض المواضع على أساس المنقول .

٣ . سورة القمر (٥٤) : ٥٥ .

٤ . هو القاضي معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان التميمي البصري ، من المحدثين .
ولي قضاء البصرة للرشيد وبها توفي سنة ١٩٦ .

٥ . هو أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة السلمى النيسابورى ، من ائمة الحديث .
توفي سنة ٣١١ . طبع له كتاب « التوحيد واثبات صفة الرب » ، ولعله ما يشير
اليه المؤلف أعلاه .

٦ . كذا في الاصل .

في الكتاب والسنة وهو أنه ذكر أو أنثى ، فقيل له انه أنزل : « وَلاَ يَسَّ الذَّكَرَ -
كَلَاثُثَى »^(١) ، فقال : أفدت وأجدت ! وأودعه كتابه .

ودخل انسان على معاذ بن معاذ^(٢) أيام التشريق - وهو شيخ جليل من مشايخنا - وبين يديه لحم سكباج يأكله ، فسأل عن مسألة التشبيه ، فقال : هو والله مثل الذى بين يدي ، لحم ودم .

وشهد معتزلي عند معاذ بن معاذ وعدل ، فقال : لقد أحببت أن أسقطك لكنك عدلت ، لاني سمعت أنك تلعن حماد بن سلمة^(٣) . فقال : أما حماد فلم ألعنه ، ولكن ألعن من روى أنه تعالى ينزل يوم عرفة على جمل أحمر في قفص من ذهب ، فان كان حماد يروي هذا فهو ملعون . فقال : أخرجوه ! فأخرجوه .

وعن محمد بن أبى الاسود خرجنا الى المصلى يوم عيد ، واذا جماعة مع الامير يضرب بالطبول ويؤتى بالاعلام . فقال واحد من خلفنا : اللهم لا طبل الا طبلك ! فقيل له : لا تنقل فليس لله طبل . فبكى وقال : أرأيتم وهو يجيء وحده ويجلس وحده ولا يضرب بين يديه طبل ولا ينصب [على رأسه] علم ؟ اذا هو أدون من هذا الامير ! فانظر كيف رد على هذا المعتزلي .

وروى مشايخنا أنه تعالى أجرى خيلا فخاق نفسه من عرقها ، وأنه لما أراد خلق آدم رأى صورة نفسه فخلق آدم على صورته .

ورويتم أنه تعالى يضحك حتى تبدو نواجذه .

ورويتم أنه أمرد جعد قطط في رجليه نعلان من ذهب ، [وأنه] في روضة

١ . سورة آل عمران (٣) : ٣٦ .

٢ . هو معاذ العبدي الذي مر ذكره آنفاً .

٣ . هو حماد بن سلمة بن دينار البصرى ، مفتى البصرة وأحد رجال الحديث . توفي

سنة ١٦٧ .

خضراء على كرسي تحملها الملائكة، وأنه يضع رجلا على رجل ويستلقي وأنها
جلسة الرب .

وروا أنه خلق ملائكته من زغب شعر ذراعيه .

وروا أنه يحاسب الناس يوم القيامة وهو على صورة آدم .

وروا أن له حجبا يحجبونه .

وروا أنه اشتكى عينه فعادته الملائكة .

وروا أنه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : رأيت ربي في أحسن

صورة فسألته في ما يختلف الملائكة الأعلى فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها
فعلمت ما اختلفوا فيه .

وروا أنه ينزل الى السماء [الدنيا] فى النصف من شعبان .

وروا أنه جالس على العرش قد فضل منه أربعة أصابع فيقعد معه النبي

- صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وذلك المقام المحمود .

وروا أنه يأتي يوم القيامة فيقول : أنا ربكم ! فيقولون : نعوذ بالله منك !

فيقول : أنعرفونه ان رأيتموه ؟ فيقولون : بيننا وبينه علامة ! فيكشف لهم عن

ساقه وقد تحول فى الصورة التى فيها فيعرفونه ^(١) .

وروا أن العرش اذا رضي الله خف واذا غضب ثقل فيعرف غضبه ورضاه .

وروا أنه يأتي فى غمام تحته هواء وفوقه هواء .

وروا أن له خنصراً وبنصراً وابهاماً ، فتركوا السبابة والوسطى وعدوا

بأصابعهم .

وذكر بعض المعتزاة يوماً - وقد حضر مجلساً - : أنتم يامعشر المشبهة تروون

١. فى شرح النهج : فى الصورة التى يعرفونها فيخرون له سجداً .

الحديث وضده ، كما قال بشر بن المعتمر ^(١) :

تروي أحاديث وتروي نقضها مخالف بعض الحديث بعضها

ثم تصححون الجميع ولا تعرفون وتروون ما لا تعلمون . مثلكم كما قال الله تعالى « كَمَا تَلِ الْحِمَارُ يَحْمِلُ اسْفَارًا » ^(٢) . ثم أخذ في رواية معائب مشايخنا فقال : من عجيب أمركم أن شيخاً من شيوخكم روى حديثاً فقال : حدثني فلان عن فلان عن النبي عن جبريل عن الله عن رجل ! فقيل : هذا لا يكون . فنظروا فإذا هو عزوجل .

وذكر الفقيه أبو الأسود قال: كان بطبرستان قاص ينص من المشبهة ، فقال [يوماً في قصصه] : ان يوم القيامة تجيء فاطمة ومعها قميص الحسين تلتمس القصاص من يزيد ، فلما رآها الله من بعيد قال ليزيد: أدخل تحت العرش لا تظفر بك فاطمة ، فدخل [ويختبئ] ، وتمثلت فاطمة بين يدي الرب وبكت ، فقال : يا فاطمة ! أنظري الى قدمي به جرح من سهم نمرود وقد عفوت عنه فاعفي عن يزيد ، فعفت فاطمة عن يزيد .

وروي آخر حديثاً فقال: وجدت في كتابي «الرسول» ولا أجد «الله» فاكتبوا شك الشيخ في الله !

ومرض أبو علي الحافظ النيسابوري ^(٣) ، فدخل عليه أبو القاسم الزجاجي يعود ، فأخرج اليه كتاب وصية يشهده عليه ، فقال : هذه وصية لابنتك وهذا لا يجوز ، قال : لأأخذ بقياسكم وانما نقول بالأحاديث . فقال : ليس هذا بقياس ،

١ . هو أبوسهل بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي ، من كبار المعتزلة . توفي سنة ٢١٠ .

٢ . سورة الجمعة (٦٢) : ٥ .

٣ . ورد ذكره في المنتخب من السياق في تاريخ نيسابور للصريفيني : ٦ و ٢١٣

(من طبعة قم - ١٤٠٣) ، وهو من رجال المائة الرابعة .

هذا نص رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : لاوصية لوارث . قال :
هذا الحديث لي مكتوب مسموع بستة عشر اسناداً لكن لم أعلم أن الوصية
للبنات لاتجوز .

ودخل بعض الفقهاء على يحيى بن معين^(١) ، فلما خرج سئل عنه فقال :
دينه شك وفتياه وقف وكلامه طعن ! قيل : وكيف ؟ قال : اذا قيل له أمؤمن أنت؟
قال ان شاء الله ، فاذا سئل عن مسألة روى أقاويل الناس ، فاذا قيل بسم نأخذ؟
وقف ، واذا قيل قتادة^(٢) قال قدري ، واذا قيل جابر^(٣) قال رافضي . ثم أنشأ
يقول :

ولابن معين في الرجال مقالة ويسأل عنها والمليك شهيد
فان كان صدقاً فالمقالة غيبة وان كان كذباً فالعذاب شديد

وأنشد بعض المعتزلة يوماً بحضرة جماعة من مشايخنا ، مشافهاً لهم :

ياخائضاً في عمرة الشكوك مفكراً في صفة الملوك
كفكرة المشبه الركيك فكرك فيه مالك الملوك
لسالك ليس بذي شريك لايدرك المالك المملوك

وحضرت يوماً مجلساً قد جمعهم وايانا ، فقال بعض المعتزلة للمشبهة :
أتقولون لله يد ؟ قالوا : نعم ، قال : لم ؟ قالوا : لقوله تعالى « يَدُ اللَّهِ فَوْقَ

١ . هو يحيى بن معين بن عون بن زياد البغدادي ، من أئمة الحديث . عاش ببغداد

ومات بالمدينة سنة ٢٣٣ .

٢ . قتادة بن دعامة الدوسي البصري ، من حفاظ الحديث . كان يرى القدر . مات

سنة ١١٨ .

٣ . جابر بن يزيد الجعفي الكوفي ، تابعي ، من رجال حديث الشيعة . مات سنة ١٢٨ .

أيديهم»^(١) ، قال : فقل له يدان لقوله تعالى « بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ »^(٢) ،
 قال : كذا أقول ، قال : فقل له ثلاثة أيدي لقوله تعالى « مِمَّا عَمِلْتِ
 أيدينا »^(٣) . فانقطع . ثم قال له : أتقول له عين ؟ قال : نعم . قال : لم ؟ قال :
 لقوله تعالى « وَ لَتَصْنَعَنَّ عَلَيَّ عَيْنِي »^(٤) . فقال له : فقل له أعين لقوله تعالى
 « تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا »^(٥) . وقال : أستم تقولون أن كلتا يديه يمين ؟ قال : بلى !
 قال : وهل شيء أفبح من هذا ؟ فانقطع .

ولما فشى ذكر الصورة والاعضاء بين مشايخنا وقامت المعتزلة في الرد
 عليهم وصنفوا ، ألقىت الى كثير منهم أن المجادلة في الدين حرام وأن الحق في
 التقليد ، والواجب أن لا يلتفت الى كلام المعتزلة وجدالهم ، فالصواب في
 التمسك في ما ألفيته موه عن سلفكم . فأما داود^(٦) وأحمد بن راهويه^(٧) وأمثالهم
 قبلوا قولي وصوبوا رأيي وأقاموا على اعتقادهم ، وأما القلانسي^(٨) وابن كلاب^(٩)

١ . سورة الفتح (٤٨) : ١٠ .

٢ . سورة المائدة (٥) : ٦٤ .

٣ . سورة يس (٣٦) : ٧١ .

٤ . سورة طه (٢٠) : ٣٩ .

٥ . سورة القمر (٥٤) : ١٤ .

٦ . هو داود بن علي بن خلف الاصفهاني ، امام الظاهرية . مات سنة ٢٧٠ .

٧ . هو اسحاق بن ابراهيم بن راهويه التميمي المروزي ، من أئمة الحديث . أخذ
 عند احمد بن حنبل والبخاري ومسلم وغيرهم . مات بنيسابور سنة ٢٣٨ .

٨ . هو أبو العباس القلانسي ، المذكور اسمه وبعض آرائه الكلامية في كتب الملل
 والنحل ، كملل الشهرستاني : ١٤٨ و ٣٣ (طبعة محمد بدران ، القاهرة - ١٣٦٦) .

٩ . هو عبدالله بن محمد بن كلاب القطان ، من نابتة الحشوية ورأس الفرقة الكلابية .

مات بعد سنة ٢٤٠ . وهو أول من عرف عنه القول بقدم كلام الله .

وطبقتهم رأوا أن شيئاً من ذلك لا يصح على النظر وأوقعوا أنفسهم في تيهه بمجادلة المعتزلة. قلت لا بد فيهم من تدبير، فألقيت اليهم أن اليد ليس هو الجارحة وإنما هو صفة للباري، وكذلك العين والساق والمجنب صفات، وأن الاستواء على العرش ليس هو الاستقرار ولكن صفة له. فقالوا: أحسنت أنت! وطلبقوني^(١) ودمعزوني^(٢) وناظروني في ذلك ودونوا وصنفوا.

وأنكرت المعتزلة أشد انكار، وابتدأوا بالرد علي وعليكم بأن هذا لا يعقل وهو فاسد لا دليل عليه، وهل هذا الأنصرة عباد الاصنام وهدم الاسلام. والله المستعان.

فصل

فكرت وقلت: ليس في اثبات التشبيه أمر أقوى من اثبات الرؤية، فألقيت اليكم بأنه تعالى يرى، فوافقتموني وقررتهم عيني ورويتهم فيه الأحاديث ووضعتهم الاسانيد، ورويتهم أن محمداً - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - رأى ربه ليلة المعراج وأنه قعد معه على عرشه، وتأولتم الايات على ذلك.

وقامت المعتزلة في الرد علي وعليكم، وقالوا الرؤية توجب التجسيم والتجسيم يوجب الحدوث، واحتجوا بقوله تعالى « لا تُدْرِكُهُ الابصار »^(٣) وبقوله « لَنْ تَرَاني »^(٤)، ورووا عن عائشة أنها سئلت هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت ثلاثاً! من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على ربه وقد قال: « لا تُدْرِكُهُ الابصار »^(٥)، ومن زعم أنه يعلم ما في

١. طلبقوني - قالوا: أطال الله بقاءك .

٢. دمعزوني - قالوا: أدام الله عزك .

٣. سورة الانعام (٦) : ١٠٣ .

٤. سورة الاعراف (٧) : ١٤٣ .

غد فقد قال تعالى : « وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّا ذَا تَكْسِبُ غَدًا »^(١) ومن زعم أنه لم يبلغ شيئاً لأنه قال : « بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ »^(٢) . وعنهما وقد سئلت [عن] ذلك فقالت : أنا أول من سأله وقال : رآه قلبي ولم تره عيني . ثم زادت الشيوخ ، فقالت الحنابلة بالمجالسة والمصافحة ، وقالت الكرامية^(٣) بأنه يرى من فوق كما يرى السماء .

ولما قامت المعتزلة بالرد عليهم وعلم الشيخ الأشعري^(٤) أن ذلك لا يتم على النظر قال يرى بلا جهة وكيف ، فجعله من باب ما [لا] يعقل - تليماً وتدليساً - وجرى ذلك في العامة . غير هؤلاء المعتزلة فانهم قالوا زدت في الفساد ، فان القوم أثبتوا معقولا وأنت أثبت شيئاً لا يعقل .

فصل

فكرت وقلت : من أصول هذا الباب اثبات المكان ، فألقيت بينهم أنه تعالى في مكان وأنه على العرش ، فقبلتم أحسن قبول واعتقدتم ذلك وناظرتم فيه . غير هؤلاء المعتزلة فانهم قالوا المكان يوجب التجسيم ، والجسم يكون محدثاً . وقالوا : ما جاز أن يكون في مكان جاز أن يكون في غيره ، وذلك يوجب جواز

١ . سورة لقمان (٣١) : ٣٤ .

٢ . سورة المائدة (٥) : ٦٧ .

٣ . هم أتباع محمد بن كرام السجزي النيسابوري ، الماضي ذكره . بقوا في خراسان حتى أوائل القرن السابع الهجري . وكانوا يقولون بأن الله تعالى مستقر على العرش وأنه جوهر ، الى غير ذلك من آرائهم الشاذة .

٤ . هو أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ، امام المذهب الأشعري . ولد بالبصرة ومات ببغداد سنة ٣٢٤ .

الحركة والسكون والزوال والانتقال . وقالوا : ما الفرق بين ملك على سريره وبين الرب على كرسيه على هذا المذهب؟ وهل هذا الامناقض لقوله تعالى «إيسَ كَمَثَلِهِ شَيْءٌ»^(١) وقوله « وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ »^(٢) . حضرت يوماً مجلساً وفيه جماعة من مشايخنا ومن المعتزلة ، فجرى مسألة العرش ، فقال شيخ منا : انه تعالى يقول : «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»^(٣) و على يقتضي الفوق . فقال المعتزلي : فقل في قوله تعالى « اذ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ »^(٤) أنهم فوقه . فانقطع . وروى بعضهم أنه تعالى خلق آدم على صورته ، فقال المعتزلي : فإذاً يجب أن يكون مؤلفاً مركباً محدثاً كما كان آدم . قال : فما معنى الحديث ؟ قال : ان صح فالمراد قيل^(٥) رأى رجلاً فقال ان آدم كان على صورته ، وقيل أراد أنه خلقه على ما كان عليه من غير انتقال من حال الى حال . فقالوا : الصواب أن لانمكن المعتزلة من حضور مجلسنا والكلام في أنديتنا فانهم يشوشون علينا المذهب فأخرجوه . فخرج وهو يقول :

فلو كنت الحديد لفلقوني ولكنني أشد من الحديد^(٦)

ولقد زادت شيوخنا من الكرامية ، فقالوا انه تحله الاعراض ويخلو منه كما في الاجسام سواء . وزادت الحنابلة فقالوا بالصعود والنزول . وأنكرت المعتزلة

١ . سورة الشورى (٤٢) : ١١ .

٢ . سورة ق (٥٠) : ١٦ .

٣ . سورة طه (٢٠) : ٥ .

٤ . سورة الانعام (٦) : ٣٠ .

٥ . كذا في الاصل .

٦ . البيت في عيون الاخبار لابن قتيبة ١ : ٢٥٦ (طبعة دار الكتب) منسوباً الى

رجل من بنى الدليل ، وفيه : « لكسروني » .

ذلك فقالوا : ليس له مكان ولا يجوز عليه الانتقال ولا تحمله الاعراض ، اذ لو جاز
أن يحمله بعض الاعراض جاز أن يحمله الجميع ، ولأن ما حله العرض يكون
محدثاً .

الباب الثالث

في العدل

تأملت أحوال هذه الملة فوجدتهم بأجمعهم يقولون انه تعالى عدل لا يظلم ولا يجور ، وأن جميع أفعاله حق وجميع أقواله صدق ، وذكروا أن ذلك في دين الرسول يعلم ضرورة وأن الكتاب نطق به نصاً ، وعلمت أني لودعوتهم الى مخالفة هذا الظاهر لا يروج ولا يقبل . فدعوتهم الى أمور تفصيلها ينقض هذه الجملة واثباتها يرفع هذه الكلمة . فأول ما ألقيت اليهم : أنه لا يقبح منه شيء لان الامر أمره والمملك ملكه ، وأنه ليس بمأمور ولا منهي ولا مملوك ولا مربوب وانما يقبح الامور لهذه الوجوه . ثم ثنيت عليه أن جميع القبائح منه ، وأنه يخلق الكفر ثم يعذب عليه ، وأنه يعذب بغير ذنب ويعذب واحداً بذنب آخر ، وأنه يخلق المنارقوماً ويكلف ما لا يطاق أخرى ، الى غير ذلك . فقابلتموني بالقبول وصدقتموني في ما أقول ودنتم به ونصرتموه .

وأنكرت المعتزلة هذا الاصل أشد انكار ، وقاموا وقعدوا في أبطاله ، وقالوا هذا ينقض الاصل المجمع عليه وما أشار النص اليه ، وقالوا : لا ظلم أعظم من أن يعذب بغير ذنب أو يخلق الكفر ثم يعذب عليه ، وذكروا أن القبيح قبيح من كل فاعل وأنه يقبح لوجه يرجع اليه ، ودلوا على ذلك بأنه لو قبح للتبهي لحسن للامر فكان لا يحسن منه شيء ، وقالوا : لو جاز ما قلتم لجاز أن يظهر المعجز على [أيدي] الكذابين فيحسن منه ، وارجاز أن يكذب في اخباره فيحسن ، ولجاز أن

يرسل رسولا يدعو الى الباطل فيحسن . وقالوا : لوقبح المنهي لاخصص بمعرفته
من عرف النهي . وأيدوا كلامهم بآي من الكتاب ، ورووا الاخبار عن النبي
- صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وأصحابه .

فأما أنتم اخواني وساداتي فما خالفتموني في ذلك كصنيع المعتزلة ، بل
قبلتم ورويتم في ذلك الاحاديث وقلتم: انه يعذب الاطفال بذنوب الاباء، ويحمل
ذنوب المسلمين على اليهود والنصارى ، وانه لو عذب الانبياء وأثاب الفراعنة
لا يقبح منه ، ولو أضل العالمين وعذبهم لا يقبح ، وانه خلق عبادة الاوثان وسب
نفسه وقتل الانبياء والاولياء وكل كفر وضلال .

اجتمع عندي نفر من مشايخنا ومن المعتزلة، فاذا قرأ قارىء : « وَالَّذِينَ
آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ »^(١) ، فقال رجل من المعتزلة : لأحد أشد حباً لله من
المعتزلة ، فقيل له : لم ؟ قال : لانهم قالوا هو المنعم بضر وب من النعم ومنه
كل الخيرات ولاشرفى أفعاله ولاقبح فى قضاياه ، يرجى من عنده كل خير
ويؤمن كل شر ، يثيب على القليل الكثير ويعفو عن السيئات ، ومن كان هذا
حاله فلاحب فوق حبه ، والمجبرة تزعم أن كل شر من عنده وأنه لا يؤمن شره
بل لا يؤمن من شره من عبده مائة سنة أن يدخله النار وأن يخلق فيه الكفر وينزله
مع الكفار ، فمن هذا اعتقاده فيه كيف يحبه ؟

وقص سيفويه القاص^(٢) فقال في قصصه : من أنت حتى لا يظلمك الله يا عاص
بظرامك ؟ نعم يظلمك هو انا لك ويعذبك بغير جرم ويخلق فيك الضلال ويأخذ

١ سورة البقرة (٢) : ١٦٥ .

٢ . ورد ذكره وبعض أخباره فى البصائر والذخائر لابی حيان التوحيدى (دمشق -

١٩٦٦ بتحقيق ابراهيم الكيلانى) ٤ : ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٨٦ وأخبار الحمقى

والمفقلين لابن الجوزى (النجف - ١٣٨٦) : ١٢٢ - ١٢٣ وغيرهما .

به ويكلفك ما لا تستطيع . فقام معتزلي من بين المجلس وقال : تبأ لك مع هذه المقالة ، هذا سوء ثناء على رب العالمين . فقالوا : أخرجوه ولا تستمعوا اليه . وذكر أبو عامر الانصاري وهو عدلي لمجبر : تعال حتى نصدق ونتصف وننصف ، أليس يجوز عندك أن يعذب الله رجالا لم لم يكونوا نساء ، ويعذب نساء لم لم يكونوا رجالا ، ويعذب سوداً لم لم يكونوا بيضاً ، ويعذب بيضاً لم لم يكونوا سوداً ، كما يعذب الكفار- مع خلق الكفر فيهم - لم لم يكونوا مؤمنين ، ويكون منه حسناً عدلا وان كان مثل ذلك منا جوراً ؟ قول : نعم . قال : فهلا جاز أن يقول : هلكت عاداً ولم يهلكهم ، وأقيم القيامة ولا يقيمها ، ولا يكون كذباً منه وان كان كذباً منا ؟ فسكت . ثم قال : لا قول أشنع من هذا ، لقد عزمت على الرجوع ورجعت عن هذا القول . فقام القوم اليه بالانعال وقالوا : أتوهن مذهبتنا وتضعف مقالتنا ؟

وقرأ قارىء قوله تعالى « فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ » (١) ، فقال معتزلي يكنى أبا عمران (٢) : لو كان الامر كما تزعمونه يامعشر المجبرة لكان لهم أن يقولوا يذهب بنا ، فلم يكن لهذا القول معنى . كما روي أن مجبراً سئل أين تذهب ؟ فقال : لا أدري ! حيث يذهب بي ، ثم قال : وهل هذا الاصفة المجنون ؟ وكما يحكى عن أبي العيناء (٣) أن رجلا وقع في الماء فقبل له أين تذهب ؟ فقال السؤال على الماء ! وسئل معتزلي : لم قلت ان الله تعالى لا يضل ؟ قال قوله : « قُلْ ان ضَلَلْتُمْ »

١. سورة التكوير (٨١) : ٢٦ .

٢. لعله أبو عمران الرقاشي أو أبو عمران يونس بن عمران ، وكلاهما من متكلمي المعتزلة في القرن الثالث (راجع طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار : ٢٧٩ و ٢٨٣ - ٢٨٤ من طبعة فؤاد سيد) .

٣. هو محمد بن القاسم البصرى الهاشمى ، من ظرفاء الدهر . اشتهر بنوادره ولطائفه .

مات سنة ٢٨٣ .

فإنّما 'أضيلُّ على' نفسي وأنّ اهتدّيتُ قَبِما' يُوحى التّى ربّي»^(١) فأمره أن ينسب الضلالة الى نفسه ورضي بهذا القول له مذهباً ، أفلا ترضون بذلك ؟ فانقطع المجبرة ^(٢) .

فصل

ومما ألقبت اليهم من هذا الجنس أن الله تعالى يضل عن الدين ويخلق الضلالة عن الحق المستبين ويزين الكفر في قلوب الكافرين ويكره اليهم الاسلام والمسلمين ،

١ . سورة سبأ (٣٤) : ٥٠ .

٢ . كتب في هامش هذه الصفحة من الاصل بخط مشابه لخط الاصل مايلي :

« ذكر السيد أبو طالب الحسنى في كتابه الموسوم بملحق الافادة : حدثنى مشايخنا أن محمد بن جرير لعنه الله ! حضر مجلس الداعي محمد بن زيد وكان أبو القاسم البلخي حاضراً فقيل لمحمد بن جرير : سل أبا القاسم عن مسألة ، فقال له ابن جرير : أتقول ان الله يملك السماوات والارضين وجميع ما يحدث فيهما ؟ فقال أبو القاسم : نعم ، فقال ابن جرير : اذا كان الله مالكاً لجميع ما يحدث فى السماوات والارضين فما الذى تنكر من أنه خالق له ؟ فقال له أبو القاسم - وأومى الى غلمان أتراك كانوا وقوفاً حوالى سرير الداعي - : أتقول ان هؤلاء الغلمان قد ملكهم الداعي وهو مالك لهم ؟ قال : نعم . قال : فالداعي خلقهم ؟ فخرج ابن جرير المجبر لعنه الله ! » .

« ذكر أبو أحمد الحسن بن [عبد الله بن] سعيد العسكرى فى الكتاب الموسوم بالمواعظ والزواجر : حدثنا محمد ، قال حدثنا عبيد بن الحسن بن يوسف ، قال حدثنا سليمان بن داود ، قال حدثنا حفص بن غياث ، عن حجاج ، عن [ابن أبى] مليكة (١) ، عن ابن عباس ، قال : سبحان الله تنزيه الله نفسه عن السوء . وكيف ينزه الله من يزعم أن السوء كله من الله ؟ » .

١ . هو أبو محمد عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة التيمى المكى ، تابعى ، روى عن ابن عباس وغيره من الصحابة وروى عنه كثيرون ، ولى قضاء الطائف لابن الزبير ، ومات سنة ١١٧ (راجع ايضاً تاريخ ييهق : ١٦٠ والعقد الفريد ٤ : ٨) .

فقبلتم ذلك وقلتم صدقت !

وأنكرت المعتزلة ذلك أشد انكار ، وقالوا : هذا يهدم الدين ويناقض كلام رب العالمين ، وتلوا : « وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى »^(١) و « أَضَلَّهُمْ السَّامِرِيُّ »^(٢) و « رَبِّ انْهِنِّ أَضْلَانِ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ »^(٣) ، وقالوا : يستحيل أن يأمر بشيء ويحث عليه ثم يضل عنه وينهى عن شيء ثم يخلقه فيه . وقال بعض المعتزلة لمجبر : ممن الحق ؟ قال : من الله ، قال : من الحق ؟ قال : الله . قال : فممن الباطل ؟ قال : من الله . قال : فمن الباطل ؟ فسكت^(٤) . واجتمع عند جعفر بن سليمان^(٥) أبو الهذيل^(٦) ومكثف المجبر وهو لا يعرف أبا الهذيل . قال أبو الهذيل : أريد أن أسألك شيئاً وأتعلم منك . فقال : سل . فقال : خبرني عن طفل بلغ فوق في قلبه أن الله واحد ، من أوقع ذلك في قلبه ؟ فقال : الله . فقال : أوقع في قلبه الحق وصدقه في ما ألقاه ؟ قال : نعم .

١ . سورة طه (٢٠) : ٧٩ .

٢ . نفس السورة : ٨٥ .

٣ . سورة ابراهيم (١٤) : ٣٦ .

٤ . ذكرت القصة في الفهرست لابن النديم : ٢٠٥ (من طبعة تجدد ، طهران - ١٣٩١ وهي ساقطة من طبعة فلوجل) كمنظرة بين عمرو بن فائد المعتزلي وأبو المنذر سلام القاريء المجبر . وانظر أيضاً الطرائف لابن طاوس (قم - ١٤٠٠) : ٣٣١ .

٥ . لعله جعفر بن سليمان بن علي العباسي ، والي المدينة المنصور ووالي البصرة للرشيد ، وهو الذي ضرب مالك بن أنس بالسياط . مات بالبصرة (المعارف لابن قتيبة : ٣٧٦ من طبعة القاهرة - ١٩٦٠) .

٦ . هو محمد بن الهذيل البصري العلاف ، من كبار المعتزلة . توفي بسامراء سنة ٢٣٥ .

قال : فطفل آخر وقع في قلبه أن الله ثالث ثلاثة ، من أوقع ذلك في قلبه ؟ فقال :
الله . قال : فألقى الحق وصدقه في ما ألقاه؟ فسكت مكئف . فقال جعفر : يا حمار!
هذا أبو الهذيل .

ودعى مجبر مجوسياً الى الاسلام ، فقال : الامر ليس الي . فقال : صدقت!
ومضى .

وحضر غلام عبد الله ^(١) بن داود ^(٢) - وكان مجبراً - مجلساً ، فقرأ قارئ
« ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ » ^(٣) ، قال : هو والله منعه ، ولو قال ابليس ذلك كان
صدقاً ، وقد اخطأ ابليس في الحجّة ، ولو كنت حاضراً لقلت : أنت منعه ^(٤) .
فقال معتزلي من طرف الجلس : بعداً لك وسحقاً ! أتحتج لابليس ولا يحتج
لنفسه ؟ فانقطع ^(٥) . فقرأ قارئ « وَأَنْعَايِكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ » ^(٦)

١ . في الاصل : عبد أمية .

٢ . ورد ذكره في عداد متكلمي المجبرة في الفهرست لابن النديم : ١٨١ (طبعة
فلوجل) . والظاهر أنه أبو عبد الرحمن عبد الله بن داود الخريبي الكوفي ،
المحدث، المتوفى سنة ٢١١ (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٤٣١ من طبعة ويستفيلد)
أو ٢١٣ (المعارف لابن قتيبة : ٥٢٠ من طبعة القاهرة - ١٩٦٠) .

٣ . سورة ص (٣٨) : ٧٥ .

٤ . نقل البياضى هذه القصة عن مؤلفنا الحاكم في كتابه الصراط المستقيم (طهران
- ١٣٨٤) ١ : ٣٨ .

٥ . كتب في الهامش بخط مشابه لخط الاصل ما يلي :

« وعندى أن يعترض هذا المجبر على وجه آخر وان يقال له : أنت أشفق للشيطان
منه على نفسه . أو ما سمعت قول ابليس حيث قال : « فبعتك لاغوينهم أجمعين » ؟
حكى محمد بن عبد الحميد عن محمد كياء البخارى ، قال حدثني اصفاهان بن على
- وهو ولد الشيخ ظ - قال : حضرت مجلس مجبر بقروين وكان المجبر رجلاً
عالماً فسئل بأى [شئ] كفر ابليس ؟ فقال : قد قال علماؤنا في ذلك كلاماً ولكن

فقال المعتزلي : معاشر المجبرة ! أليس الله تعالى قد لعن أشياء وأقواماً ؟ قالوا : نعم . قال : فهل فى العالم غيره اوغير خلقه ؟ قالوا : لا . قال : فيلعن نفسه أو خلقه ؟ فتحير القوم وانقطعوا .

وقال معتزلي لمجبر : الزناخير للزاني أم تركه ؟ فقال : الزنا . قال : لم ؟ قال : لان الله قضى ذلك عليه ، وقضاء الله له خير ! فقال : تباً لك أن تقول الكفر خير له من الايمان والزنا خير من الاحصان .

ونظيره مايحكى عن بعضهم أنه قال : ازنية أزنيها أحب الي من عبادة الملائكة ! فقيل له : ولم ؟ قال : لعلمي أن الله تعالى قضاها علي ، ولم يقض الا ما هو خير لي ^(١) .

وخطب بعض المعتزلة فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : أيها الناس لاأحد أقيح ثناء على رب العالمين من هؤلاء المجبرة حيث قالوا : بأمر بماالم يرد وينهى عما أراد ثم يقضي بما

عندى وجه آخر لايمكن لاحد أن يعترض عليه ، فانما كفر لانه قال « لاغوينهم أجمعين » فأضاف الاغواء الى نفسه وهو من الله لامن فعل ابليس ، فلذلك كفر . قال الفقيه اصفهان : ماكنت أعرف شيئاً يمكن أن نعترض عليه ، وسألت كثيراً من علمائنا فما أجابوا بشيء . فقلت لفقيهنا البخارى : ماتقول فى اعتراضه ؟ فقال : لا أدرى . فقلت : عندى اعتراض على هذا الكلام بحيث يجعله كأن لم يكن . فقال : ما هو ؟ قلت : نقول له ماكفر ابليس لهذا وانما كفر لقوله الاخر حيث قال « رب بما أغويتنى » فأضاف الاغواء الى الله وهو من فعل ابليس ، فكفر لهذا لانه قال ان الله ظالم حيث أغواه ثم يعاقبه على ذلك . واستصوبه استاذى محمد كياء البخارى .

٦- سورة ص (٣٨) : ٧٨ .

١ . نقل اللياضى هذه القصة عن مؤلفنا الحاكم فى كتابه الصراط المستقيم ٣ : ٦٦ .

نهى عنه ثم يعذب عليه ، وانه يخلق فعلاً ثم يقول لم فعلتم ؟ ويغضب على ما خاق وقضى وأراد ، ويأمر بشيء ويحول بينه وبين ما أمر به ، ويقضى أمراً ثم يأمر القضاة والولاة والغزاة رد ما قضى وقدر وأراد وخلق ، وأمر بحدود يقام على شيء خلقه ، فأمر بجلد الزاني - وخلق فيه الزنا - وقطع السارق - وهو الذي قدر فيه السرقة - ، وجعل مال زيد رزقاً لعمرو وخلق أخذه ثم قال لم أخذت ؟ وعاتبه عليه ، وأنه خلق الكفر وكره الايمان وبعث الانبياء دعاة الى خلاف مراده وضد قضائه . فانظر الى سوء ثنائهم الى ربهم ، وانظر الى حسن ثناء أهل العدل على الهيم حيث قالوا : انه حكيم أمر بما أراد ونهى عما كره ، وقضى الايمان ورضيه وأحبه وزينه ، ونهى عن الكفر وكرهه وغضب عليه وسخطه ، كما قال الله : « وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْعِيصْيَانَ »^(١) ، وانه بعث أنبياءه بالحق ليدعوا الى الحق الذي أراده ، وأنزل الكتاب ليهدوا به ، وهدى الى الدين وما أضل أحداً من العالمين ، وانه يثيب من أطاعه ويعاقب من عصاه ، فاحمدوا الله على الدين وقولوا : الحمد لله رب العالمين .

وسأل عدلي مجبراً : هل تملك من أهلك وما لك شيئاً ؟ قال : لا . قال : فما تملكه منهم جعلته في يدي ؟ قال : نعم . قال : اشهدوا أن نساءه طوالق وعبيده أحرار وماله صدقة في المساكين . فكانت ممن تقول بالعدل ، فتحوات عن منزله وسألت العلماء ، فأفتوا بوقوع ذلك كله . وصارت ضحكة وشهرة^(٢) . وسألت جماعة عمرو بن فائد^(٣) - وهو معتزلي - عن القدر ، فقال :

١ . سورة الحجرات (٤٩) : ٧ .

٢ . نقله البياضى فى الصراط المستقيم ٣ : ٥٩ - ٦٠ .

٣ . هو أبو على عمرو بن فائد الاسوارى البصرى ، من متكلمى المعتزلة . توفى

حوالى سنة ٢٠٠ .

أقيموا ربكم مقام رجل صالح ، حتى أنكم ان كان ما قيل حقاً فلا تعاتبوه وان كان باطلا فلا تنهموه . وأنشد :

من لم يكن لله متهماً لم يمس محتاجاً الى أحد

وأراد مجبر الخروج الى مكة وودع أهله وبكى، فقيل له : سيحفظهم الله ! قال : ما أخاف عليهم غيره ! فقال معتزلي : كذبت ! أتخاف وهو أرحم الراحمين؟ وبعث محمد بن سليمان^(١) الى رجل يقال انه معتزلي فدعا بالسيف والنطع، فدخل وهو يضحك ، فقال : تضحك في مثل هذه الحالة ؟ فقال : يا محمد بن سليمان ! أرايت لو قام رجل في السوق فقال: ان محمد بن سليمان يقضي بالجور ويجمع بين الزانيين ويريد الفواحش ، فاعترضه رجل فقال : كذبت بل يقضى بالحق ولم يرد الجور ولا يفعل الفواحش ، فأيهما أحب اليك ؟ قال : من دفع عني وأحسن الثناء علي . قال: فاذاً لأبالي بعدما أحسنت الثناء على رب العالمين . فانقطع ومن حوله من المجبرة . قال محمد : اذهب ولا تذكر الا بخير^(٢) .

وجاء رجل الى منزل عبد الله بن داود^(٣) وكان غائباً ، فلما رجع قال : كنت أصلح بين قوم . فقيل : أصلحت ؟ قال : أصلحت ان لم يفسد الله ! فقال واحد : كذبت ! الله لا يفسد بل هو المصلح الحسن الثناء ، وتساء الثناء على ربك . فانقطع .

١ . هو محمد بن سليمان بن علي العباسي ، أمير البصرة في أيام المهدي والرشيدي .

مات سنة ١٧٣ .

٢ . نقله البياضى فى الصراط المستقيم ٣ : ٦٦ .

٣ . مضى ذكره . والقصة المذكورة فى النهروست لابن النديم : ١٨١ (من طبعة فلوجل).

قال داود الاصفهاني^١ للموفق^٢ : قد أهلك الناس أبو مجالد^٣ . قال :
قطعك أبو مجالد ، أله تعالى أهلك الناس أو أبو مجالد ؟

ومر معاذ بن معاذ^٤ بلص يقطع ، فالتفت اليه وقال : انه لمظلوم ، يخلق
فيه السرقة ثم يؤمر بقطعه . قال عدلي : أما رضيت يا جاهل بأن أضفت السرقة اليه
تعالى حتى نفيته عن اللص ، فأضفت اليه الامر بالقطع على شيء فعله هو ، ولو
وصف بهذا قاض لكان سوء ثناء فكيف برب العالمين .

وجاء خراساني الى أبي الهذيل وسأله عن العدل ، فقال : يا خراساني من
جاء بك من خراسان؟ قال : الله . قال : من جاء باللص حتى قطعوا عليك الطريق؟
قال : الله . قال : فمن جاء بالسلطان حتى قطع أيديهم؟ قال : الله . [قال :]
فاذاً الله فعل جميع ذلك حيث جاء بك من خراسان وجاء باللص ليذهب مالك
وجاء بالسلطان ليقطع يده ، هذا فعل حكيم؟ فانقطع وتاب .
ودعا مجبر فقال : يارب ! أفسدتنا فأصلحنا . فقال عدلي : أسكت لا أم لك!
هو المصلح .

وقيل لهشام بن الحكم^٥ : أترى الله كلف عباده مالا يطيقون ثم يعذبهم
عليه؟ قال : والله قد فعل ذلك ولكن لانجسر أن نتكلم .

١. داود بن علي الظاهري . مضى ذكره .

٢. هو الموفق بالله طلحة بن المتوكل جعفر العباسي ، آلت اليه ولاية عهد أخيه المعتمد
وقام بأعباء الملك فعلا ، ولكنه لم يل الخلافة اذ مات في أيام أخيه سنة ٢٧٨ .

٣. هو أحمد بن الحسين البغدادي ، من متكلمي المعتزلة في القرن الثالث واستاذ
أبي الحسين الخياط مؤلف الانتصار . توفي سنة ٢٩٨ .

٤. هو معاذ العنبري ، الماضي ذكره .

٥. هو ابو محمد هشام بن الحكم الكوفي ، من كبار متكلمي الامامية . صنف كتباً
كثيرة . توفي حوالي سنة ١٩٠ .

وعن بعضهم قال : رأيت مجبراً في المنام فقالت له : ما فعل بك ربك ؟ قال :
هو على قولكم ، قدري !

واجتمع جماعة بطرسوس يرمون الهدهد ويشتمونه ، فقيل : ما ذنبه ؟
قالوا : هو قدري حيث قال : « وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ » (١)
فأضاف العمل اليهم والتزين الى الشيطان ، وجميع ذلك فعل الله تعالى . قال :
أنتم تنفون الذنب عن الشيطان وتصفون به الرحمن ؟

وذكر أبو محمد المزني (٢) - وكان ظريفاً - فقال : اذا أعطيت كتابي يوم
القيامة قلت عرفت ما فيه ولكن أسأل عن شيء أتيته أنا باختيارى أو خالق فيّ ولم
أقدر على تركه ؟ فان قالوا « فعلته باختيارك » قلت : يارب العبد الضعيف أخطأ
وأساء وعلى عفوك وفضلك توكل ، فان عفوت فبرحمتك وان عذبت فبعذلك ،
ولو قالوا « بل خلق فيك وقضى عليك وأنت تعذب عليه » قلت : يامعشر الخلائق !
العدل الذي كنا نسمع به في دار الدنيا ليس ها هنا منه قليل ولا كثير (٣) .

وقال أبو الهذيل لحفص (٤) القرد (٥) : هل في المعلوم شيء الا الله وخلقته ؟

١. سورة النمل (٢٧) : ٢٤ .

٢. في مشابه القرآن لابن شهر آشوب : ١٩٦ « أبو محمد المدائنى » .

٣. نقله البيضاوى فى الصراط المستقيم ٣ : ٦٠ وابن شهر آشوب فى مشابه القرآن :

١٩٦ .

٤. هو أبو عمرو المصرى البصرى ، متكلم مناظر ، ينسب الى القول بالجبر ، عاش
فى النصف الاول من المائة الثانية .

٥. كذا فى الاصل هنا وفى سائر الموارد التى ذكر اسمه فى الكتاب ، وورد بهذا

الشكل أيضاً فى المحيط بالتكليف للقاضى عبد الجبار : ٤١٥ ، ونقل عنه ما يمكن

أن يكون وجه تلقيبه بهذا اللقب . فالظاهر أنه الاصح ، لا « القرد » بالفاء كما

ورد فى سائر المصادر .

قال : لا . قال : يعذب على نفسه أو خلقه ؟ فانقطع ^(١) .

وقال معتزلي لمجبر : لم قلت بالاجبار ؟ قال : ألقينا ذنوبنا على ربنا واتكينا على جنب ! فقال : أيش ألزمتكم بعد هذا ؟

وقال آخر لمجبر : لم سمي الظالم ظالماً ؟ قال : لانه فعل الظلم . قال : فمن خلق الظلم ؟ قال : الله . قال : فهلا سميته ظالماً ؟ فانقطع ^(٢) .

وقال آخر لمجبر : من نهى عن الزنا ؟ قال : الله . قال : ومن خلقه وأراده ؟ قال : الله . قال : ومن عابه وأوجب عليه الحد ؟ قال : الله . قال : كيف نهى ثم خاق ثم عاب ؟ فانقطع وأنشد :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم ^(٣)

ثم قال العدلي : ان قوماً من بني اسرائيل خرجوا للاستسقاء ، فأوحى الله الى نبيهم لأستقيكم وفيكم رجل غماز ، فقال : يا رب ! من هو حتى نخرجه ؟ فقال : لا أعيب شيئاً ثم أفعله . وأنشد لمحمود الوراق ^(٤) :

١ . يأتي تمام القصة في الباب الخامس ، ونقلها البياضى فى الصراط المستقيم ٥٩ : ٣ .

٢ . هذه مناظرة وقعت بين أبى على الجبائى المعتزلى وصقر متكلم المجبرة ، فراجع طبقات المعتزلة للقاضى عبدالجبار : ٢٨٧ (من طبعة فؤاد سيد) . ونقل القصة ابن شهر آشوب فى متشابه القرآن : ١٢١ .

٣ . البيت لابی الاسود الدئلى ، وهو فى ديوانه (طبعة محمد حسن آل ياسين ، بيروت - ١٤٠٢) : ٤٠٤ .

٤ . هو محمود بن الحسن الوراق ، شاعر من أوائل المائة الثالثة ، أكثر شعره فى المواعظ والحكم . توفى حوالى سنة ٢٢٥ . والشعر لم يرد فى ديوانه المطبوع (بغداد - ١٩٧٩) من جمع عدنان العبيدى . وجمع محمد زهدى يكنى ، بيروت - ١٤٠٣) . كما ليس فيه الايات الخمسة التى نقلها له الشيخ المفيد فى أماليه (قم - ١٤٠٣) : ١٠٨ - ١٠٩ .

ولا تلزم الذنب المقادير جاهلاً وأنت ولي الذنب ليس المقادر
فلو كان للمقدور في الذنب شركة لكان له حظ من الذنب وافر

واختصم عدلي ومجبر بين يدي بعض الولاة ، فلما قام [المجبر] اعتمد
بيديه على الارض وقال : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا
في السماء . فقال العدلي : ما هذا الشيء الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض
ولا في السماء ؟ وعندك لا ضرر الا من قبله . فانقطع .

وقال مجبر لعدلي : رأيت لو كان لي قطعة طين ألي أن أعمل ما أحببت ؟
قال : نعم . قال : ألي أن أعمل منه ثلاث جرار ، معوجة ومكسورة وصحيحة ،
ثم أطبخها بالنار ؟ قال : نعم لكن بشرط أنها لو خرجت كذلك لا تسأل عنها لم
صارت معوجة ومكسورة وصحيحة . ثم قال : وأنا أسأل . قال : سل . قال :
ما تقول في رجل غرس في بستان له خوخاً لم يغرس غيره ، ثم قال لغلامه اذهب
الى البستان فايتنى بكل فاكهة ، فقال الغلام : ليس في البستان الا الخوخ ،
قال اذهب فأحرقه ! لم لم يكن فيه سوى الخوخ ، أهذا حكمة ؟ قال : لا . قال :
فكيف جوزت على ربك أن يخلق كافراً ثم يعذبه لم لم يكن مؤمناً ؟ فانقطع^(١) .
وقال مجبر يوماً : يا مصلح المفسدين ! فقال عدلي له : لم قلت ذلك ؟
قال : لان الصلاح منه . قال : فقل على مذهبك يا مفسد المصلحين ! لان الفساد
منه . ففكر ثم قال : يلزمني ذلك لكنه قبيح . فسكت .

وسأل آخر مجبراً فقال : أليس تقرر في العقول الاحسان الى الولي والاساءة
الى العدو ، وأن من فعل ذلك يكون حكيماً ومن فعل ضده وصف بالسفه ؟ قال :
نعم . قال : رأيت رجلاً عبد الله مائة سنة وآخر عبد الوثن مائة سنة ، فخلق في
الاول الكفر وأدخله في النار وفي الثاني الايمان وأدخله الجنة ، أليس عدوه

١ . نقلة البياضى فى الصراط المستقيم ٣ : ٦٠ .

أحسن حالا من وابه؟ فانقطع .

وحكى بعض المعتزلة أن امير المؤمنين .. عليه السلام - مر بقتلى نهر وان
فقال : تعساً لكم ! لقد ضرركم من غركم . فقال بعضهم : من غرهم ؟ قال : الشيطان
والنفس الامارة بالسوء والاماني . فقال مجبر : كان علي معتزلياً والله ! فالثه غرهم
وفعل بهم ما فعل وأوردهم تلك الموارد .

وسأل عدلي مجبراً عن قواه تعالى « ان كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً »^١
هذا الكيد كيد الله أم كيد غيره ؟ فان قلت : كيد الله فكيد ضعيف ، وان قلت :
كيد غيره فهو ما تقول ، ان كيد الله حق وكيد الشيطان باطل . فانقطع .

فصل

جمعت يوماً بين معتزلة الجن ومجبرة الجن للمناظرة ، فقال معتزلي : يلزم
على مذهب الجبر هدم الدين . فقبل : ولم ؟ قال : خذوا : انهم يلزمهم نفي الصانع
لانهم اذا لم يثبتوا في الشاهد صانعاً فاعلام يكن في الغائب ، ويلزمهم نفي
النبوات لانهم اذا جازوا عليه كل قبيح لا يؤمن أن يظهر المعجز على كذاب
وأن يبعث رسولا يدعو الى الضلال ، ويلزمهم ان لا يكون للبعثة معنى لانه اذا
أضل أحداً فلا معنى للبعث اليه واذا هدى أحداً فلا معنى واذا كان هو الخالق
لهذه الافعال فلا معنى للرسول والكتاب ، ويلزمهم ابطال الجهاد والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر لاستحالة تغيير ما فعله هو فكأنه أمر بالجهاد لاعدام ما يوجد
هو ويجاد ما يعدمه هو ، ويلزمهم أن لا يصح اثبات قادر في الشاهد لانه هو الخالق
للافعال ، ويلزمهم أن لا يصح اثبات عالم لان الفعل خلقه ولانه يوجد بقدرة موجبة

١ . سورة النساء (٤) : ٧٦ .

الباب الرابع

فى القضاء والقدر وذكر القدرية

ولقد فكرت فى مسألة القضاء والقدر فوجدت لى فيها مجالاً وفى المقام مقالا ، فألقيت اليكم بأن الكفر وجميع المعاصي بقضاء الله وقدره ، فقبلتم منى وجعلتم ذلك عمدة لكم وأحلتم كل قبيح يحدث فى العالم على القضاء والقدر . وأنكرت المعتزلة ذلك أشد الانكار وقالوا : مامعنى قولكم كل شىء بقضائه؟ ان أردتم « بخلقه » فمعاذ الله أن يكون الكفر بقضائه وخلقه ، وان أردتم « بأمره » فهو خلاف الاجماع لانهم أجمعوا أنه لا يأمر بغير الطاعات ، وان أردتم « العلم والبيان » فنحن نقول انه يعلم جميع الاشياء قبل كونها لانه عالم لذاته لا يخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السماء . وقالوا : ثبت فى دين النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أن الرضا بقضاء الله واجب ، فلو كان الكفر بقضائه يوجب الرضا به ، والرضا بالكفر كفر ، وتلوا قوله تعالى : « وَلا يَرْضَى لِعِيبَادِهِ الْكُفْرَ »^(١) . وقالوا : من قال انه يرضى فقد خالف النص . وقاموا على رأس هذا الامر ، فأعياني أمرهم وبهتني شأنهم .

واجتمعت أنا وهم فى مجلس فجرى ذكر القدرية وأنهم مجوس الامة على ماوردت به السنة . فقالت المعتزلة : القدرية هم المجبرة لوجوه أربعة :

١ . سورة الزمر (٣٩) : ٧ .

أحدها : أن هذا الاسم أخذ من القدر ، وانما يؤخذ من الاثبات لامن النفي كالموحدة والمشبهة والمجسمة ، وقد اختلفنا أن المعاصي بقدر الله أم لافقلتم بلى وقلنا لا ، فأنتم بالاسم أولى منا .

وثانيها : أنكم لهجتم بذلك القدر في اضافة القبيح اليه ، فنسبتم اليه كما يقال تهري .

وثالثها : روى أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - سئل : من القدرية ؟ فقال : قوم يعملون المعاصي ثم يقولون الله قدرها عليهم .

ورابعها : أنه شبههم بالمجوس ، ومذهب المجبرة عين مذهب المجوس لان المجوس تقول : من يقدر على الخير لا يقدر على الشر ومن يقدر على الشر لا يقدر على الخير ، والمجبرة تقول : من يقدر على الايمان لا يقدر على الكفر ومن يقدر على الكفر لا يقدر على الايمان ، ومذهب المعتزلة بالضد من هذا ، فعندهم يستحيل أن يقدر على الخير ولا يقدر على الشر ولكن اما أن يقدر عليهما أو لا يقدر . فلم يكن عندهم جواب .

غير أن بعض مشايخنا روى أن آدم وموسى عليهما السلام التقيا في السماء فقال موسى : يا آدم ! أليس الله قد أنعم عليك بأن خلقك بيديه وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وأنعم عليك بضروب النعم ثم أكلت ما نهاك عنه ؟ فقال : يا موسى ! بكم سنة تجد ذلك مكتوباً علي ؟ قال : بألف سنه ، قال : أفأقدر على تركها ؟ قال : لا . قال : فلم تلومني ؟ قال : فحج آدم موسى . قالت المعتزلة : هذا كذب ، لو كان هذا عذراً لادم لكان عذراً لجميع العصاة . قال بعض المجبرة : نعم هو عذر للجميع لكن لا نجسر أن نقول كما قال آدم . فقال معتزلي : إذا مثلنا كما قيل :

إذا مر ضنا أئيناكم نعودكم وتذنبون فنأتبكم ونعتذر^(١)
 فقالت المجبرة: نعم! فضجوا وقالوا: افتضحت. وأنشد المعتزلي:
 اصفح المجبر الذي بقضاء السوء قد رضي
 فإذا قيل لم فعلا - ت فقل هكذا قضي^(٢)
 وقيل لمحمد بن واسع^(٣) وكان معتزلياً: ما تقول في القدر؟ قال: إذا جمع
 الله الخلائق سألهم عما أمرهم ولم يسألهم عما قضى عليهم.
 وسئل جعفر بن محمد^(٤) - عليهما السلام - عن القدر فقال: ما استطعت
 أن تلوم عليه العبد فهو فعله، وما لم تستطع أن تلومه فهو فعل الله، يقول الله للمعبود
 لم كفرت ولم عصيت؟ ولا يقول لم مرضت؟^(٥)
 وعن غيلان مطرف^(٦) [أنه] كان يقول: اللهم ارضني بقضائك، فإن هذا
 المسارق لم يرض بما قسم الله له فسرق فقطعت يده.

١. لم يسم قائله في ما وجدت فيه هذا البيت من المصادر، مثل آداب النفس للعينائي:
 ٨٤ (طهران - ١٣٨٠).
 ٢. في الصراط المستقيم للبياضى (طهران - ١٣٨٤) ١: ٤٠. ورد البيت الأخير
 هكذا:

وإذا قال لم فعلت قل له هكذا قضى

وفي مشابه القرآن لابن شهر آشوب: ١٩٦:

فإذا قال لم فعلت فقيل هكذا قضى

٣. لعله أبو بكر محمد بن واسع بن جابر الأزدي البصرى الفقيه، المتوفى سنة ١٢٣،
 ولكن هذا عد من أهل الحديث.
 ٤. هو الامام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق، سادس الاثمة الاثنى عشر. توفى
 سنة ١٤٨.
 ٥. الرواية في الطرائف لابن طاووس: ٣٣٠ وبحار الانوار ٥: ٥٩.
 ٦. كذا في الاصل، ولعله محرف غيلان بن مسلم، أى اللمشقى الماضى ذكره.

واجتمع عدائى ومجبر رافضى فقال العدلي : ما تقول ،على -عليه السلام -
قاتل معاوية على شىء جعل الله لمعاوية وقضاه له أم على شىء جعله لعلي -عليه
السلام - وقضاه له وغصبه معاوية ؟ فقال : بل على شىء جعله لمعاوية وقضاه له
ولم يجعل لعلي . فقال : فمعاوية أحسن حالا من علي حيث رضي بما قضي له
وجعل له ،وعلي لم يرض بما قضي له ولم يقنع بما جعل له ،فمعاوية وافق ربه
وعلي خالفه ! فانقطع .^(١)

وسأل المعتزلي مجبراً : أكان قتل يحيى بن زكريا بقضاء الله ؟ قال : نعم .
قال : فارضوا به ! فانقطع .

وصعد سلام القاري أبو المنذر^(٢) المأذنة ليؤذن ، فأشرف على سطحه فاذا
غلام له يفجر بجاريته ،فبادر فنزل وأخذهما ليضربهما ،فقال الغلام : أتلو مني ؟
وان القضاء والقدر لم يدعانا حتى فعلنا ذلك ! فقال : لعلمك بالقضاء والقدر
أحب الي من كل شىء ، أنت حر لوجه الله !

وكان باصفاهان شيخ مجبر يؤذن ، فصعد المأذنة فرأى رجلا يفجر بأهله ،
فبادر وهرب الرجل وأخذ يضرب المرأة وهى تقول له : القضاء والقدر ساقانا !
فقال : يا عدوة الله ! أتزين وتعتذرين بمثل هذا ؟ فقالت : أوه ! تركت السنة
وأخذت مذهب ابن عباد !^(٣) فتنبه الرجل ورمى بالخشب وقبل ما بين عينيهما
واعتذر اليها ، وقال : لولاك لضللت فأنت سنية حقاً ! وجمع الصوفية ثلاثة أيام

١. نقل البياضى هذه القصة وما يليها الى حكاية الجارية والكوز فى كتابه الصرط
المستقيم ٣ : ٦٥ - ٦٦ ملخصة .

٢. هو سلام بن سليمان البصرى الطويل ، من رواة عاصم ، توفى سنة ١٧١ . والقصة
فى فهرست ابن النديم : ١٨٠ (من طبعة فلوجل) .

٣. يعنى صاحب بن عباد الوزير ، الماضى ذكرة .

شكراً لله . فقلنا : ما لقينا منكم يا معشر المعتزلة !

ورأى مجبر رجلاً يزني بامرأته ، فقال : ما هذا ؟ قال : قضاء الله وقدره !

فقال : خيرة الخيار في ما قضى الله . فلقب «خيرة الخيار في ما قضى الله» ! وكان

إذا دعي به غضب .

واجتمعوا يوماً في مجلس فقال معتزلي : أنتم يا معشر المجبرة إذا ناظرتكم

المعتزلة قلتكم بالقدر وإذا دخلتم منازلكم تركتم ذلك وقلتكم بالعدل لاجل فلس .

قيل : ولم ؟ قال : إذا لقي الخصم قال ليس الينا شيء ، الأمر الى خلقه وقضائه ،

وإذا دخل منزله ووجد جاريتة كسرت كوزاً يساوي فلساً ضربها وشمها ويلومها

لو كسرت بعدها لأفعلن كذا ، ونسي مذهبه .

ومر أبو عبد الله الموسوس بطرار اجتمع الناس عليه ، فكلم بعضهم أن

يخليه ويرد المسروق فرد . فقال : أبو عبد الله : أيهما أعدل من قضى أخذها

أو من رد عليه ؟ فبهتوا ، وأنشد لمحمود الوراق :^(١)

إذا ما أتى فاسق زلة على العهد منه يقولوا قُدر

إذا كان هذا على طاعة وهذا على الكفر كل جبر

فمن قد أطاع كمن قد عصى فما للعذاب بئذي يستمر

وان كان [ربي] له خالقاً فمن قد أطاع كمن قد كفر

حكى معتزلي فقال : ضرب مجبر بالسياط في سرقة ، فقال : مرحباً بقضاء

الله وقدره !

وقيل لمجبر : الله يقضي الفساد ويخلق له ؟ فاستلقى وقال : لي خمس بنات ،

لأخاف على افسادهن غيره^(٢) . فقال المعتزلي : صدق والله ! هذا حقيقة

مذهبهم .

١ . مضى ذكره ، والشعر لم يرد في ديوانه المطبوع .

٢ . أنظر الصراط المستقيم ٣ : ٦٥ .

وتشاجر معتزلي ومجبر في أن القدرية من هم؟ فحيثوا بمجوسي فقالوا
له: يا مجوسي! ممن المجوسية؟ قال: من الله! قال المعتزلي للمجبر: أينما
يوافقه؟^(١) ثم أنشد:

أيتها المـجبرة الملعونة وبالمجوس في الهوى مقرونة
حـاولتم علة قوم ذمـة من ثم سميتم مجوس الامة

واجتمع أبو عمرو بن العلاء^(٢) وعمرو بن عبيد^(٣) فقال عمرو لابى عمرو:
هل تعرف في كلام العرب أن أحداً فرط في ما لا يقدر عليه؟ قال: لا. قال:
فأخبرني عن قوله تعالى «يا حـسرتى على ما فرطت في جنب الله»^(٤)،
كانت حسرتة في ما قدر عليه أو في ما لم يقدر عليه؟ فقال أبو عمرو لأصحابه:
قد أبان لكم أبو عثمان القدر بحرفين^(٥).

وسأل مجبر عدلياً عن قوله عليه السلام - إذا ذكر القدر فأمسكوا والقدر
سر الله فلا تفشوه والقدر بحر عميق لا يدرك^(٦)، فقال: كل ذلك حجة على المجبرة
والقدرية. قال: ولم؟ قال: أجمع المسلمون أن من أقر على نفسه بذنبه واستغفر
ربه ولام نفسه فهو قد أصاب الحق، وعلى هذا كان السلف الصالح، وبهذا نطق

١. أنظر الصراط المستقيم ٣ : ٦٤ ، وصدر القصة محرف في المطبوعة من هذا

المصدر .

٢. هو زبان بن عمار التميمي المازني البصري ، من أئمة اللغة والادب وأحد القراء

السبعة . توفي سنة ١٥٤ .

٣. هو أبو عثمان عمرو بن عبيد البصري، شيخ المعتزلة في عصره. مات في سنة ١٤٤ .

٤. سورة الزمر (٣٩) : ٥٦ .

٥. انظر الصراط المستقيم ٣ : ٦٦ .

٦. أنظر نهج البلاغة : ٦٢٤ (بيروت - ١٣٨٢) وكتاب التوحيد للصدوق : ٣٦٥ .

القرآن في قوله « وَالْآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ »^(١)، وبهذا وردت السنة لما سئل النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن هذا شيء يعلمه أو سبق القضاء له؟ قال: ففيم بعث، فالمراد إذا نسب المعاصي إلى القدر فأمسكوا ولا تقولوا كقول المجبرة. وقيل: إذا سئل عن أفعال الله لم كان هذا بصيراً وهذا أعمى وهذا غنياً وهذا فقيراً، فكلوا ذلك إلى تدبيره فإنه الحكيم في أفعاله العليم في قضايها، لا يفعل إلا الصواب ولم يرد إضافة القبيح إلى قضائه، مع قوله: « وَيَتَوَلَّوْنَ هُوَ مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِّنْ عِندِ اللَّهِ »^(٢) ويقول: « انَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ »^(٣) و« لَا يُحِبُّ الْفِسَادَ »^(٤) ولا يريد ظلاماً للعالمين^(٥). ثم قال: ومن جهة أخرى -- وهو حجة عليكم -- وهو أنه أمر بالامساك فأمسكوا ولا تضيفوا الكفر والفساد إلى قدره، فإذا فعلتم ذلك خالفتم السنة وخضتم البحر المنهي عن خوضه وفتشتم عن هذا السر وقلتم بالجبر. فانقطع. ثم قال: أخبرني هذا التفتيش المعيب منا أو منه؟ فان قلت: منا تركت المذهب، وإن قلت: منه فهو الذي فتش سره، وإن قلت: منا ومنه فقد أشركت.

وجرى ذكر القدرية فقال مجبر: القدرية خصماء الرحمن وأنتم ذلك يامعشر المعتزلة! فقال: ننظر في المذهبيين أيهما كان أليق بأن يكون خصماً له، فمذهبنا أن نجعل الحججة كلها على عباده وأنتم جعلتم الحججة كلها للعباد عليه، وأنتم خصمه ونحن نذب عنه. ثم قال: حسبك بالقطع إذا دعينا ودعيتم يسوم

١. سورة التوبة (٩) : ١٠٢ .

٢. سورة آل عمران (٣) : ٧٨ .

٣. سورة الاعراف (٧) : ٢٨ .

٤. سورة البقرة (٢) : ٢٠٥ .

٥. مأخوذ من قوله تعالى : «وما الله يريد ظلاماً للعالمين» (سورة آل عمران - ٣

.. : ١٠٨).

القيامة فقبل لكم ؛ بم تشهدون؟ قلتهم : يارب نشهد أن القوم لم يؤثوا في كفرهم وفسادهم الا من جهتك، أنت خلقت فيهم فأفسدتهم ، وحملت اليهود على اليهودية والنصارى على النصرانية، ولو كان أمرهم اليهم كانوا صالحين لكن أنت صدقتهم وبقضائك عليهم الكفر منعتهم وأنت نهيتهم عنها وأوقعتهم فيها ، فجميع ذنوبهم منك وجميع معاصيهم من قبلك ثم سخطت عليهم بغير حق وتعاقبهم بغير جرم ، ثم قلتهم للقوم : أمانحن فقد بحنا ببراءتكم وقمنا بعذركم واحتججنا لكم . ثم قيل لنا : يا أهل العدل ! بم تشهدون ؟ فقمنا بين صفوفهم وقلنا : يارب ! نشهد أن هؤلاء كذبوا عليك ونحلوا اليك ما أنت منه برىء واعتذروا للظالمين وجعلوا دعوة الرسل لغواً وانزال كتاب القرآن عبثاً والامر والنهي باطلا واقامة الحدود تعنتاً والسؤال والحساب والعذاب ظلماً والثواب ميلاً ، فنحن نشهد أنهم كذبة وشهود زور ونززهك عما لا يليق بك فنقول سبحانك عما وصفوك به وتعالميت عما نسبوك اليه ، ونشهد أنك العدل في ما فعلت وفطرت ، الحكيم في ما قضيت وقدرت ، الرحيم فلا عنيت في ما أمرت ونهيت ، العليم فلا جور في ما قدمت وأخرت، الصادق في ما أنبأت وأخبرت، خلقت الخلق برحمتك وكلفتهم برأفتك لينالوا جنتك، وأعطيت الالة وأزحت العلة ومكنت باعطاء القدرة وبعثت الرسل وأنزلت الكتب كل ذلك تعريضاً لما أعددت لهم من ثوابك وتحذيراً من عقابك ، ولم ترد منهم الا ما أمرت ولا كرهت الا ما نهيت ولا قضيت الا ما قدرت ولا قدرت الا ما أظهرت، فتركوا أمرك واتبعوا شهواتهم وارتكبوا ما نهيت ايثاراً لشهواتهم ولذاتهم وطغوا في بلادك وظلموا عبادك ،فسنهم من كفر ومنهم من تحير ومنهم من ترك العبودية ومنهم من ادعى الربوبية، وفي كل ذلك أتوا من قبلهم وأنت من ذلك [بريء] حتى استوجبوا عذابك واستحقوا عقابك ، ثم أمهلتم للتوبة وأعدرت

اليهم الانابة ففي كل ذلك الحججة لك عليهم لاحجة لهم عليك وما أنت بظلام للعبيد ، بهذا كنا نشهد في الاولى كما شهدنا في العقبى ، فانظروا ايننا خصماء الرحمن، وقد قال الله « وَ لَا تَكُنْ لِلْمُخَافِئِينَ حَصِيماً »^(١) و « لَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ »^(٢) .

وقال معتزلي لمجبر : أليس الله يقول : « وَ شَهِدُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ أَنْتَهُمُ كَانُوا كَافِرِينَ »^(٣) فإقراره أولى بنفسه أم شهادتكم له ؟ فانقطع .

وقال عدلي لمجبر : أليس الله يقول : « وَ لَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ »^(٤) ؟ فقال : دعنا عن هذا ، أرضاه وأحبه وأراده وخلقه وما أفسدنا غيره ! فقال : كفرت حيث رددت آية من كتاب الله .

وقال تلميذ لسلام القاري^(٥) : مررت الليلة بآية من القرآن في قصة يوسف توهمني أنه كان قدرياً ! قال : وما ذلك ؟ قال : قوله تعالى « نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَخَوَتِي »^(٦) . فقال سلام : فأنا مررت بآية في قصة موسى توهمني ذلك . قيل : وما هي ؟ قال : قوله « هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ »^(٧) . فقال آخر : رأيت أعجب من هذا ، قوله « لَا أَمْلِكُ الْإِنْفُسِي وَأَخِي »^(٨) ، فلم يرض أن يقول « أملك نفسي » حتى قال « وأملك غيري » . فقام معتزلي وقال : أما رضيتم بمذهب موسى ويوسف تردون عليهما ؟ فسكتوا .

١ . سورة النساء (٤) : ١٠٥ .

٢ . نفس السورة : ١٠٧ .

٣ . سورة الانعام (٦) : ١٣٠ .

٤ . سورة الزمر (٣٩) : ٧ .

٥ . مضى ذكره . والقصة منقولة في الصراط المستقيم ٣ : ٦٦ .

٦ . سورة يوسف (١٢) : ١٠٠ .

٧ . سورة القصص (٢٨) : ١٥ .

٨ . سورة المائدة (٥) : ٢٥ .

الباب الخامس

فى خلق الافعال

فكرت وقات لاشيء أقوى فى هذا الباب من نفي الافعال عن العباد وازافتها الى الله ، فألقيت اليهم بأن جميع ما يظهر على العباد من خير وشر وايمان وكفر وقبيح وحسن وطاعة ومعصية فهو خلقه تعالى لاتأثير للعبد فيه ، وانما ينسب اليه كما تنسب الحركة الى الاشجار والجري الى الانهار والنضج الى الثمار ، فكذلك نسبة الكفر الى الكفار والطاعة الى الابرار . فقبلتم مني أحسن قبول ودينتم به وناظرتم عليه .

وأنكرت المعتزلة ذلك ، وقالوا هذا يبطل الامر والنهي والوعد والوعيد والحساب والثواب والكتب والارسال والجزاء والسؤال .

فأما شيخنا جهم^(١) فقام على رأس الامر ، ولم يلتفت الى كلامهم ولاتفكر في ما أوردوه من حججهم ، وقال : من يبالي بسالككم ومن يلتفت الى أقوالكم ؟ وأما سائر الشيوخ فتركوا الطريق وناظروهم حتى انقطعوا وافتضحوا .

فألقيت اليهم حيلة ومكيدة بأنه خلق الله كسب للعبد ، ففرحوا به وأوردوا

١. هو أبو محرز جهم بن صفوان السمرقندى، رأس الجهمية. كان يقضى فى عسكر

الحارث بن سريج الخارج على أمراء خراسان فقبض عليه نصر بن سيار وقتله

فى سنة ١٢٨ .

عليهم. فقالت المعتزلة: هذا تلبيس وتدليس، اذا كان الفعل بجميع صفاته أحدثه هو فأني تأثير للعبد وأي معنى للكسب؟ وقالوا: ان ثبت ذلك في ما اشتركوا في الفعل وجب أن يشتركوا في الحمد والذم والاسماء المشتقة من الافعال، وكيف أضاف أفعاله اليهم وحظه أكثر وتأثيره أوفر؟ وكيف أوجب الحدود والعقوبات على شيء هو حملهم عليه؟ وقالوا لهم: أيصح أن يحصل الخلق دون الكسب؟ قالوا: لا، قالوا: فيصح أن يحصل الكسب دون الخلق؟ قالوا: [لا]، فقالت المعتزلة: فهذه شركة ظاهرة، خرجتم عن التوحيد وقلتم ان القدرة المحدثة قدرة الله. فعند ذلك انقطعوا وبهتوا.

اجتمع عدلي ومجبر، قال العدلي: أليس قد بعث الله موسى الى فرعون وقال: «فَذَا نِكَ بَرْهَانَانِ مِّن رَّبِّكَ اِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ»^١ وقال: «انْتَهُ طَغَىٰ فَتَقُوْا لِاٰلِهَتِهِ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهِ يَتَذَكَّرُ اَوْ يَخْشَىٰ»^٢ ووصاه بما وصاه؟ فقال: بلى. قال: قد بعثه الله تعالى ليغير خلق الله أو فعل فرعون؟ فان قلت بالاول فكيف يقدر موسى أن يغير ما خلق الله؟ وأي معنى لقوله «لَعَلَّهِ يَتَذَكَّرُ اَوْ يَخْشَىٰ» ولم يخلق ذلك فيه؟ وان بعثه ليغير فعل فرعون فذلك ما نقول. فانقطع المجبر. وأنشد العدلي يقول:

لقد أسمعت لو ناديت حياً
ولكن لاحياة لمن أنادي^٣

وقال ثمامة^٤ يوماً للمأمون: أنا أبين لك القدر بحرفين. فقال: زد الضعيف

١. سورة القصص (٢٨) : ٣٢ .

٢. سورة طه (٢٠) : ٤٣ .

٣. البيت لعمر بن معد يكرب، وهو في ديوانه المطبوع (من جمع هاشم الطعان،

بغداد - ١٣٩٠) : ٦٤، وفيه: «لمن تنادي» .

٤. هو أبو معن ثمامة بن أشرس النميري، من كبار المعتزلة، شيخ الجاحظ، مات

سنة ٢١٣ .

حرفاً - يعني يحيى بن أكثم - ^(١) . فقال : لا يخلو فعل العبد من ثلاثة أوجه : إما أن يكون فعله فيتوجه الحمد والندم إليه ، أو فعل الله تعالى فلا يتوجه على العبد لوم ولا حمد ولا ذم ، أو كان منهما فوجب أن يكون الحمد والندم لهما .
فقال : صدقت !

وقال أبو العتاهية ^(٢) للمأمون : أنا أقطع ثمامة بحرف . فقال : دع فلست من رجاله . قال : بلى ! فلما حضر قال : سله . فحرك يده وقال : من حرك يدي ؟ فقال : من أمه زانية ! فقال : يا أمير المؤمنين ! شتمني . فقال ثمامة : يا أمير المؤمنين ! ترك مذهبه . فضحك المأمون ^(٣) .

وقيل لفضيل بن عياض ^(٤) - وكان عدلياً - : ان فلاناً يشتمك . فقال : لاغيظن من أمره بذلك ويغفره الله له . قيل : ومن أمره بذلك ؟ قال : الشيطان . وقال عدلي لمجبر : أليس الله تعالى يقول : « الشَّيْطَانُ يَجْعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَسْأَمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَجْعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضلاً » ^(٥) ، فهما من واحد أو من اثنين ؟ فانقطع .

١ . هو القاضي يحيى بن أكثم المروزي ، استفضاه المأمون ثم المتوكل ، ومات في سنة ٢٤٢ .

٢ . هو اسماعيل بن القاسم بن سويد العيني الكوفي ، الشاعر المكثّر ، توفي ببغداد سنة ٢١١ .

٣ . جاءت القصة ملخصة في متشابه القرآن لابن شهر آشوب : ١٢١ والصراط المستقيم ٥٩ : ٣ .

٤ . هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي السمرقندي ، المحدث الزاهد ، شيخ الشافعي . توفي بمكة سنة ١٨٧ .

٥ . سورة البقرة (٢) : ٢٦٨ .

وكلم انسان عروة بن محمد^(١) بشيء أغضبه ، فخرج وتوضأ ورجع وقال :
حدثني أبي عن جده عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أنه قال : الغضب
من الشيطان ، والشيطان خالق من النار ، وانما يطفىء الماء النار ، فاذا غضب
أحدكم فليتوضأ .

وعن بعض المعتزلة [أنه] قال لمجبر : أليس النبي - صلى الله عليه وعلى
آله وسلم - يقول : الاناة من الله والعجلة من الشيطان ؟ فلو كان كلاهما من خلقه
لم يكن للفرق معنى .

وقال آخر لمجبر يناظره : لأدري ما تقول غير أنه تعالى قال : « كَلِمًا
أَوْقَدُوا نَارًا لِإِحْرَابِ أَطْفَالِهَا اللَّهُ »^(٢) ، وقد علمنا أن الذي أوقدها غير الذي
أطفأها^(٣) .

وسمع صقر المجبر^(٤) رجلاً يقول : لعن الله القواد يجمع بين الزاني
والزانية . فقال صقر انك : تلعن ربك فانه جمع بينهما . فقال : ما الذي تقول ؟
قال : هو ديني ودين أصحابي .

وقيل لصقر : أليس الله يحمد بترك الظلم فقال : « وَمَا رَبِّكَ بِظَلَامٍ
لِلْعَبِيدِ »^(٥) ؟ قال نعم . قل : أليس الظلم كله منه ومن خلقه وقضائه ؟ قال : نعم .

١ . هو عروة بن محمد بن عطية السعدى القيسى ، ولى على اليمن عشرين سنة وعزل
سنة ١٠٣ وتوفى بعد سنة ١٣٠ . والرواية وردت فى تهذيب التهذيب ٧ : ١٨٨
ذيل ترجمته .

٢ . سورة المائدة (٥) : ٦٤ .

٣ . أنظر الصراط المستقيم ٣ : ٥٩ .

٤ . ورد ذكره فى طبقات المعتزلة للقاضى عبد الجبار : ٢٨٧ (من طبعة فؤاد سيد) ،
ويظهر منها أنه كان متكلم المجبرة فى البصرة فى أواسط المائة الثالثة .

٥ . سورة فصلت (٤١) : ٤٦ .

قال : فما الظلم الذي نفاه وتحمد ؟ أشيء يعرف أم لا ؟ فانقطع .
وقال : أبو الهذيل للبطيخي ^(١) المجبر - غلام جهم - ^(٢) : أتزعم أن الله تعالى يعذب عباده على ما خلقه فيهم ؟ قال : لا ، ولكن أقول انهم في النار يتمتعون كدود الخل في الخل . ثم قال : كيف ثم كيف حيث ^(٣) يا أبا الهذيل . قال : نعم ولكن رفعت باب البيعة .

وقيل لابي الهذيل : من جمع بين الزاني والزانية ؟ قال : أما أهل البصرة فيسـمونه قواداً ، وأظن أهل بغداد لا يخالفونهم فيه ! فسكت السائل ^(٤) .
وقيل لابي العباس الضريـر - وكان عدلياً - : من جمع بين الزاني والزانية ؟ فقال : أبو القواد .

وقيل انّ أبا الاسود الدئلي ^(٥) شكى جيرانه بأنهم يرمونه ، فقالوا : ما رميناك ولكن الله رماك ! قال : كذبتم ! اورماني الله لما أخطأني وأنتم تخطئون ^(٦) .
وتواعد أبو الهذيل وحفص القرد للمناظرة في دار أبي عامر الانصاري

١ . ورد ذكره في المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار : ١١٧ ، الا أنه في المطبوع منه : البطحى .

٢ . يعنى جهم بن صفوان الماضى ذكره .

٣ . كذا في الاصل ، ويحتمل أن تكون كلمة « حيث » محرفة عن « تجيب » أو قد سقط شيء هنا .

٤ . القصة في أمالى المرتضى ١ : ١٨٠ . ونقلها ابن شهر آشوب في مشابه القرآن : ١٢١ والبياضى فى الصراط المستقيم ٣ : ٥٩ .

٥ . هو ظالم بن عمرو بن سفيان الكنانى ، المتوفى ٦٩ . واضح علم النحو ووالى البصرة فى خلافة أمير المؤمنين .

٦ . أنظر القصة وما قال أبو الاسود فيها من الشعر فى ديوانه : ٨٩ - ٩٠ (بيروت - ١٤٠٢) .

وتراضيا بالنظام^(١) ، فقال أبو الهذيل لحفص : هل شيء غير الله وغير خلقه ؟
 قال : لا . قال : فعذب الكافر على أنه خالق ؟ قال : لا . قال : فعذب على أنه
 خلق ؟ قال : لا . قال : فلم عذب ؟ قال : لانه عصي . قال : بأن عصي خرج
 الى باب ثالث من خالق ومخلوق ؟ قال : لا . قال : فلم عذب ؟ فجعل حفص
 يكرر هذا وأبو الهذيل يلزمه ، فقال نظام : الى كم لا ونعم في شيء لا معنى له ؟^(٢) .
 وقيل لابي يعقوب المجبر : من خلق المعاصي ؟ قال : الله . قال : فمن
 عذب عليها ؟ قال : الله . قال : فلم عذب عليها ؟ قال : لأدري والله !

وحضر أبو عبد الله الحنفي دار بعض الولاة وقد حضر مجبر فأتى برجل
 طرار [أحول] ، فقال الوالي للمجبر : ماترى فيه ؟ قال : تضربه خمسة عشر سوطاً .
 فقال للعدائي : ماتقول ؟ قال : تضربه ثلاثين سوطاً ، خمسة عشر لحواله وخمسة
 عشر لطره . فقال المجبر : تضربه على حوله ولاصنع له فيه ؟ قال : نعم ، اذا
 كانا جميعاً من خلق الله فالحول والطر سوا . فانقطع المجبر وتحير^(٣) .
 وقال المأمون لابي علي الثنوي^(٤) : هل ندم مسيء قط ؟ قال : نعم . قال :
 أندم على شيء فعله هو أو غيره ؟ قال : ندم لانه أساء . قال : فان صاحب الخير

١ . هو ابراهيم بن سيار البصرى ، من أئمة المعتزلة . توفى سنة ٢٣١ .

٢ . نقل البياضى هذه القصة والتي بعدها فى الصراط المستقيم ٣ : ٥٩ .

٣ . نقله ابن شهر آشوب فى متشابه القرآن : ١٢١ والبياضى فى الصراط المستقيم

٣ : ٥٩ .

٤ . راجع قصة المأمون معه فى الحيوان للجاحظ ٤ : ٤٤٢ - ٤٤٣ وعيون الاخبار

لابن قتيبة ٥ : ١٥٢ ، وهى فى المصدرين مختلفة عما هنا الا فى الشطر الاول ،

وكذا فى متشابه القرآن لابن شهر آشوب : ١٢٢ .

وصاحب الشر سواء واحد . فانقطع . هذا ، ويلزم المجبرة [أن] النادم يندم على فعله أو فعل خلق الله فيه ، وهم ألزموا الندم على فعل غيرهم [الذي] لا يقدر على تركه ، والعاقل لا يندم على مثل هذا .

وكان قاص من المعتزلة يقص ويقول : أيها الناس ! من حمل الذنب على الله هلك ومن أضافه الى نفسه نجا ، وهذا مذهب النيبين والصحابة والتابعين . ولقيد أتى عمر بسارق فقال له : اسم سرقت ؟ قال : قضاء الله وقدره ! فقال : اذهبوا به واضربوه ثلاثين سوطاً واقطعوا يده . فقيل : أما القطع فللسرقة فما بال الضرب ؟ قال لكذبه على الله ^(١) .

الباب السادس

في الاستطاعة

فكرت وقلت: مدار أمر التكليف على القدرة وازاحة العلة، فألقيت اليهم بأن الكافر لا يقدر على الايمان والمؤمن لا يقدر على الكفر ويستحيل القدرة على الضدين، وأن القدرة موجبة للفعل وتوجد معه وتعدم معه . فقبلتم مني ووافقتموني كالمنتظر منكم .

وأنكرت المعتزلة ذلك وقالوا بتل القدرة قبل الفعل وهي غير موجبة للفعل، والقدرة على الضدين. وقالوا: لو كان الامر كما زعمتم لكان يقبح تكليف كما يقبح تكليف الاعمى بالنظر والاخرس بالكلام والزمن بالمشي، واذا لم يجز تكليف من لا يعلم فتكليف من لا يقدر أولى أن لا يجوز، ولانها لو كانت موجبة لكان الفعل لفاعل القدرة . وصنفوا في ذلك تصانيف وأوردوا في ذلك حججاً وألزموا تكليف ما لا يطاق . فمنكم من استحميا من اطلاقه فوقع في حيرة، فألقيت اليهم القول بالبدل^١

١ . في الهامش : « أى عند المجبرة يجوز وجود الايمان فى حال الكفر ، على معنى أنه لو لا يكون كان جيد وفعل - أى يجوزون الايمان فى حال وجود الكفر - ، وعند البدل انما يجوز على المعدوم ولا يجوز على الموجود لان بدل الموجود يكون مثلاً له لا بدلاً » .

تلبساً فقبله النجارية^(١) ، والاشتغال بالترك فلزمه الكلابية^(٢) . وقد قال شيخنا ابو الحسن^(٣) : ما هذا الحياء ؟ ولاي معنى هذا الرياء ؟ صرحوا بتكليف ما لا يطاق ودعوا هذا النفاق وان رغم أنوف المعتزلة^(٤) . فقلت شكر الله سعيك ! أرحت واسترحت ! وصرحنا به وحمدناه على ذلك . وقامت المعتزلة بالرد علي وعليكم .

ولقد قرأ قاريء « وَمَسَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا »^(٥) ، فقال بعض المعتزلة : يامعشر المجبرة ! كيف يكون هذا على مذهبكم وقد منع الناس من الايمان بخصال من المنع ، كل واحد منها يمنع فكيف بمجموعها ؟ قيل له : وما هو ؟ قال : خذوا ، فأحدها أنه خلق الكفر ، وثانيها خالق القدرة الموجبة للكفر ، وثالثها أنه أراد منه الكفر وقضى الكفر وزين الكفر وام يخلق الايمان ولا أعطاه قدرة الايمان ولا أراد ولا قضاه . فقلت لمشايخنا : أجيبوه ! فقالوا : اذا كان المذهب ما قال فما معنى الجواب ؟

١ . هم فرقة من المعتزلة ، أتباع الحسين بن محمد بن عبدالله النجار الرازي المتوفى حوالي ٢٢٠ ، يوافقون المعتزلة في الصفات وخلق القرآن وفي الرؤية ، ويخالفونهم في مسألة القضاء والقدر واكتساب العباد وفي الوعد والوعيد .

٢ . هم فرقة من نابتة الحشوية ، أتباع محمد بن عبدالله بن كلاب القطان الماضي ذكره .

٣ . يعنى الأشعري امام المذهب ، الماضي ذكره .

٤ . في الهامش : « نقول انه تعالى يقدر ويعلم لمعان لا يوصف ، لانه لو وصف الصفة لاحتاجت الصفة الى الصفة وهلم جراً يؤدي الى ما لا يتناهى ، والاستطاعة مع

الفاعل »

٥ . سورة الاسراء (١٧) : ٩٤ .

وأُنشد معتزلي لابن عباد^(١) في ذم أصحابنا أشعاراً كثيرة ، منها :

يقول لنا بعض جيراننا أريد المنارة في المبرع

فقلت له يا فتى لا تطيق فأعرض كما يبغض المنكر

فقال وتكليف ما لا يطاق يجوز على مذهب الأشعري

وحضريوماً المعتزلة والمجبرة ، فقال معتزلي : ليس في الدنيا أسوء ثناء على

الانبياء من المجبرة ولا أحسن ثناء على الشيطان منهم . قيل : ولم ؟ قال : يزعمون

أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ماترك معصية قط قدر عايبها ولا أتى طاعة

قدر على تركها ولو قدر على المعاصي لكان أعصى خلق الله ، وزعموا أن الشيطان

لم يترك طاعة قدر عليها ولا أتى معصية قدر على تركها ولو قدر لكان أطوع

خلق الله ، فهذا ثناءؤهم على الانبياء وعلى الشيطان .

وناظر معتزلي مجبراً فقال : الاستطاعة قبل الفعل . قيل : ولم ؟ قال : لقوله

« سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ » ، ثم قال : « وَاللَّهِ

يَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَكَافِرُونَ »^(٢) فكذبهم في قولهم ، فلا يخلوا اما أن كانوا مستطيعين

فلم يخرجوا أو لو أعطوا [الاستطاعة] لم يخرجوا ، وأي ذلك فالحجة قائمة .

فانقطع . ثم قال : صدق ذلك الرجل ! لو استطاع لخرج ولكن لم يعط القدرة .

فقال المعتزلي : فما بال التكذيب ؟ قال : لأدري . قال : هذا كفر وردّ لكتاب

الله تعالى^(٣) .

١ . معنى الصاحب بن عباد . والشعر لم يرد في ديوانه المطبوع (بتحقيق محمد حسن

آل ياسين ، بغداد - ١٣٨٤) .

٢ . سورة التوبة (٩) : ٤٢ .

٣ . نقل البياضى هذه القصة وأكثر ما يلبها الى حكاية الهرة والقارة في كتابه الصراط

المستقيم ٣ : ٧٠ - ٧١ ملخصة .

وقال عدائي لمجبر : ما تقول في من لا يقدر على القيام ، أيجوز له أن يصلي قاعداً ؟ قال : نعم . قال : تقول في القاعد [انه] يقدر على القيام ؟ قال : لا . قال : أيجوز له أن يصلي قاعداً ؟ قال : لا . فقال : ناقضت .

ومر الواثق^(١) ببيحيى بن كامل^(٢) فقال : ألسنت الامام ؟ قال : بلى . قال : اذا مررت برجل في وقت الصلاة ما الذي يجب علي ؟ [قال :] تقول له قم فصل . [قول :] فان قال لا أقدر عليه لاني مقعداً صدقه ؟ قال : نعم . قال : أو أعذره يصلي قاعداً ؟ قال : نعم . قال : فان قال لا أقدر على القيام لاني متشاغل بالعمود وليس في قدرتي القيام أصدقه ؟ قال : نعم . قال : أفأعذره أن يصلي قاعداً ؟ قال : لا . قال : اذا كانا صادقين فلم عذرت أحدهما ولم تعذر الاخر ؟ فانقطع .

ونال له الواثق : ما التوبة ؟ قال : الندم على ما فات والعزم على أن لا يعود . قال : أفيقدر عليهما ؟ قال : لا . قال : فاذا كان لا يقدر عليهما فما معنى التوبة ؟ فانقطع .

وزعم الكلبي^(٣) أنه لما نزل قول الله تعالى « اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ »^(٤) اشتد ذلك على المسلمين فنسخ ذلك بقوله « فَاتَّهِوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ »^(٥) . فقال بعض من حضر : هذا يكسر قولنا في الاستطاعة . قال : كسره الله سبحانه

١ . هو هارون بن محمد المعتصم ، تاسع الخلفاء العباسيين ، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٢٢٧) وتوفى بسامراء في سنة ٢٣٢ .

٢ . هو أبو علي يحيى بن كامل بن طليحة الخدرى ، من المتكلمين ، كان من المرجئة ثم انتقل الى مذهب الاباضية ، ومات حوالى سنة ٢٤٠ .

٣ . هو ابو النضر محمد بن السائب الكلبي الكوفى ، المتوفى سنة ١٤٦ ، النسابة الراوية ، العالم بالتفسير والاخبار وأيام العرب . صنف كتاباً فى تفسير القرآن .

٤ . سورة آل عمران (٣) : ١٠٢ .

٥ . سورة التغابن (٦٤) : ١٦ .

من يسر ولم يعسر ، وكيف يعسر من قال : « و ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ »^(١) .

وقرأ قاريء « لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً أَلَا وَ سَعَهَا »^(٢) ، فقال بعض المجبرة من شيوخننا : بئست الآية هذه الآية ! ، فأنكروا عليه ، فقال : لانها تنقض قولنا في الاستطاعة .

وقيل لصقر المجبر : أكان فرعون يقدر على الايمان ؟ قال : لا . قال : فعلم موسى أنه لا يقدر على الايمان ؟ قال : نعم . قال : فلم بعثه الله اليه ؟ قال : سخرية ! وحضر من شيوخننا أبو هاشم مجلساً وبعض المعتزلة يقول : المجبرة خصماء الرحمن وشهود الشيطان . فقام أبو هاشم وقال : اذا كان يوم القيامة نودي أين شهود ابليس ؟ قمت وشهدت له أن الله مزمه من السجود .

واجتمع النظام والنجار للمناظرة ، فقال النجار : لم تدفع أن الله كلف عباده ما لا يطيق ؟ فسكت النظام . فقيل له : لم سكت ؟ قال : كنت أريد بمناظرته أن ألزمه القول بتكليف ما لا يطاق ، فاذا التزم ولم يستحي فما الذي ألزمه بعد ذلك .

وسأل معتزلي مجبراً فقال : أليس الكافر ممنوعاً من الايمان ؟ قال : بلى . قال : فهل يكون قوله « لا أقدر عليه » حجة ؟ قال : نعم . قال : فما معنى قوله « لَيْسَ لِكُلِّ شَيْءٍ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ »^(٣) ؟ فانقطع . وقام المعتزلي وأنشد :

ليس خلق له على الله حجة فالزم القصد ان عرفت المحجة

١ . سورة الحج (٢٢) : ٨٧ .

٢ . سورة البقرة (٢) : ٢٨٦ .

٣ . سورة النساء (٤) : ١٦٥ .

ومر أبو الهذيل راكباً على الحسين النجار وهو قاعد على باب دار المهالبة، فقال: انزل حتى أسألك. قال: أتقدر أن تسألني؟ قال: لا. قال: أفأقدر أن أجيبك؟ قال: لا. قال: فيم أعني نفسي؟^(١)

وقال أبو الهذيل للنجار: خبرني عن رجل في الشمس أمره تعالى أن ينتقل إلى الظل، متى تحمّل له استطاعة الانتقال؟ قال: مع النقلة. قال: فأعطني استطاعة النقلة وهو في الشمس أو أعطني وهو في الظل؟ فان قلت بالاول تركت مذهبك وان قلت بالثاني فقد انتقل بغير استطاعة. فانقطع. ثم قال: وخبرني عن موسى - عليه السلام - أمر بالقاء عصا أعطي قدرة الاعطاء وهي في كفه أو بعد ما ألقى؟ فان قلت بالاول فلا استطاعة قبل الفعل، وان قلت بالثاني فقد ألقى بغير استطاعة. فقال: مع القاؤها. قال: هي في كفه أو خارجة من كفه فلا فاصل بينهما فانقطع.

وسأل مجبر أبا الهذيل: هل تقدر على أن تفعل شيئاً؟ قال: نعم، أقدر على أشياء أقدرني الله تعالى عليها باستطاعة ركبها في. قال: خذ تلك الصعوبة من رأس ذلك الحائط. قال: ذلك من استطاعة الباشق!^(٢)

وسأل عدلي مجبراً فقال: ما تقول أكان فرعون قادراً على الايمان؟ قال: لا. قال: فعلم موسى أنه لا يقدر عليه؟ قال: نعم. قال: فلو قال فرعون لموسى أقدر على الايمان الذي تدعوني اليه ما كان يقول موسى له؟ قال: كان يقول لا تقدر. قال: فلو قال لماذا جئتني وأنا لأقدر على ما تدعوني اليه، أيش كان يجيب؟ قال: كان يقول لأدري. قال: ولو قال فرعون اذهب فاعلم ثم ارجع فاني اذا قدرت آمنت - جئت أو لم تجيء - أيش كان يقول؟ فانقطع المجبر.

١ . انظر الطرائف لابن طاموس : ٣٣١ .

٢ . نسبه ابن شهر آشوب الى النظام في كتابه متشابه القرآن : ١٢٠ .

وعن عبدان^(١) رأيت أبا رملة المجبر يدخل على أبي شعيب^(٢) فدخات معه ، فسأله حاجة ، فقلت : أيقدر أبو شعيب أن يقضي حاجتك ؟ قال : لا . قلت : فلم تسأله ما لا يقدر وتغضب ان لم يفعل ؟

وكان عبدان هذا ظريفاً مليح المسائل . قال له ابن بالويه المجبر^(٣) : ما دليلك على أن الاستطاعة قبل الفعل ؟ قال : الهرة والفارة ! فغضب ابن بالويه وقال : تهزأ بي ؟ قال عبدان : ما قلت لك الا الحق ، لولا أن الفارة تعلم أن السنور يقدر على أخذها لما هربت ! فانقطع .

وقال عبدان : صغني رجل من المجبرة الى باب داره ، فقلت : أيقدر باب دارك وهو على هذه الهيئة أن يأخذ بشيabi ؟ قال : لا . قلت : فلو أعطاه الله القدرة يستطيع أن يأخذ بشيabi ؟ قال : نعم . قلت : أنتقد أنت وأنت على هذه الهيئة أن تأخذ بشيabi ؟ قال : لا . قلت : فلو أعطاك الله القدرة على أخذها أخذتها ؟ قال : نعم . قلت : فما الفرق بينك وبين هذا الباب ؟ فسكت .

وناظر عدلي مجبراً فقال : ما تقول لو قدرت على قتل الانبياء والائمة -
وهتك المحارم واحراق المصاحف وتخريب الكعبة ونبش قبر النبي وهدم
المسجد ، أتفعل ولا تدع شيئاً من ذلك خوفاً من الله تعالى ولا حرمة لامره ولا خشية
من عقابه ولا رجاءاً لثوابه ؟ قال : نعم . قال : فمن كان هذا اعتقاده كفى به خزيماً !
فافتضح .

- ١ . لعنه عبدان الخسروجردي ، أبو بكر عبد الملك بن عبدالحليم البيهقي ، المتوفى ٢٩٢ . روى عن يحيى بن يحيى المنقري النيسابوري (تاريخ ييهق : ١٤٢) .
- ٢ . لعنه محمد بن شعيب البيهقي ، مفتي الشافعية بنيسابور . كان مكرماً عند الامراء وحظي بالمال والرياسة . توفي سنة ٣٢٤ (تاريخ ييهق : ١٥٨) .
- ٣ . هو أبو العباس بالويه بن محمد بن بالويه البيهقي المزيناني ، تلميذ محمد بن اسحاق بن خزيمة النيسابوري (المجبر ، المتوفى سنة ٣١١ ، الماضي ذكره)
والمترجم له في تاريخ ييهق : ١٦٠ .

وكان لمجبر غريم عدلي فقال : أعطني حقي . فقال : لا أقدر على أن أعطيك
 حقا ! فقال المجبر : أما الآن أقول بقولك ، نعم تقدر أن تعطيني . فقال : ما
 تصنع بمذهب لا يمكنك معه أن تقاضي غريمك ؟ دعه واسترح !
 وسأل رجل سلام القاري أبا المنذر^(١) فقال : ما تقول في رجل قائم في الماء
 حلف بطلاق امرأته أنه لا يقدر أن يتوضأ للصلاة ؟ فقال له : يا قدرى الخبيث !
 فقيل له : ان هذا قرشي . فقال : يا ابن أخي ! طلقت امرأته . فقال : تركت
 مذهبك .

وذكر أبو موسى المراد^(٢) فقال : اجعل كلام المجبرة القدرية حجة عليهم
 في كل شيء ، اذا قال [أحدهم] افعل كذا فقل هل أقدر عليه ؟ فان قال نعم ترك
 مذهبه ، وان قال لا فقل فلم تأمرني بما لا أقدر عليه ؟

وقال عدلي لمجبر : أليس الله تعالى يقول : « وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
 أَعْمَاءَهُمْ »^(٣) ؟ فالتفت الى قوم عنده وقال : أنظروا الى هذا يزعم أن الشيطان
 يقدر أن يعمل شيئا . فقال : يا أحمق ! هذا نص الكتاب لا [ما] أقول . فانقطع .
 وسأل عدلي مجبرا عن قوله تعالى « وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا »^(٤)
 ما معناه على قولك ؟ قال : هذا لا معنى له ، اذا كان هو المانع فما معنى السؤال ؟
 قال السائل : أيمنعهم ثم يسألهم ؟ قال : نعم قضى على عباده بالسر ما منعهم الله

١ . مضى ذكره . والقصة منقولة في الصراط المستقيم ٣ : ٦٩ ملخصة ، الا أن في

المطبوع منه « سلام الفارسي » بدل « القاري » خطأ .

٢ . هو عيسى بن صبيح المراد ، من كبار المعتزلة ، وهو الذي أظهر الاعتزال

بيгдаد . توفي سنة ٢٢٦ .

٣ . سورة النمل (٢٧) : ٢٤ .

٤ . سورة الاسراء (١٧) : ٩٤ .

فى العلانية وأوعدهم عليه . فقال السائل : ألكون هذا فعل حكيم ؟ ثم قال : فما معنى قوله تعالى « وما ذا عآلآهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر » (١) وان كان هو منهم ؟ قال : استهزأ بهم ! ثم قال : فما معنى قوله « ما يفعل الله بعذبا بككم ان شكرتم وآمنتم » (٢) ؟ قال : قد فعل ذلك بهم وعذبهم من غير ذنب جنوه ، بل ابتدأهم بالكفر ثم عذبهم عليه ، وليس للآية معنى . فقال : هذا رد كتاب الله تعالى . فقال : أأش أصنع اذا كان هذا هو المذهب ؟ وكان بالبصرة نصراني فكتب كتاباً ذكر فيه الشهود المسلمون أن فلاناً النصراني لا يقدر على الايمان ، وأن الله خلق فيه النصرانية وقضاه عليه وقدره وأراده واختاره له ، وأنه منعه من الايمان ، وأنه أتى في ما أتى من قبله تعالى . وكان يأتي المجبرة ويأخذ خطوطهم ويقول اكتبوا شهادتكم تشهدون لى يوم القيامة ، وكانوا يكتبون . والمعتزلة يسخرون منهم ويقولون : هؤلاء شهود الشيطان ، فيسكتون (٣) .

وسأل عدلى مجبراً عن قوله تعالى « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى عآلى الهدى » (٤) ، فقال : ليس من هذا شىء بل أضلهم وخلق فيهم العمى . قال : فما معنى الآية ؟ قال : مخرف مخرف به ! فقال : كفرت ! فسكت .

وسأل آخر عن ذلك فقال : معناه هدينا المؤمنين فاستحب الكافرون العمى . فقال : ما أجهلك وأشد مكابرتك ! هل قال أحد ضربت زيدا فبكى عمرو ؟ ثم

١ . سورة النساء (٤) : ٣٩ .

٢ . نفس السورة : ١٤٧ .

٣ . نقل اليباضى هذه القصة عن مؤلفنا الحاكم فى كتابه الصراط المستقيم ١ : ٣٨

— ٣٩ و ٣ : ٦٣ . وانظر الطرائف لابن طاوس : ٣٣٢ .

٤ . سورة فصلت (٤١) : ١٧ .

هل الاستحباب فعله أو مخلوق فيه؟ فانقطع .

وسأل عدلي مجبراً فقال : هل كان النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يقدر أن يهدي أحداً؟ قال : لا . قال : فما معنى قوله « وَأنتك كتهدي إلي صيراطي مستقيم » (١) ؟

جواباً بلبان فهم الخالق على الأرباب

هذا سؤال عظيم جداً، وقال الله تعالى: "اللهم انزلنا من السماء ماء فأنزلنا به رسولاً مبشراً ونذيراً" وقال تعالى: "وإن من دابة إلا أنا آخذوا بها قبضةً من أمرة ما كنا ننزلها إلا بقرين من آملين".
 وقال تعالى: "وما ننزله إلا بقدر معلوم". وقال تعالى: "وما ننزله إلا بقدر معلوم".
 وقال تعالى: "وما ننزله إلا بقدر معلوم". وقال تعالى: "وما ننزله إلا بقدر معلوم".
 وقال تعالى: "وما ننزله إلا بقدر معلوم". وقال تعالى: "وما ننزله إلا بقدر معلوم".
 وقال تعالى: "وما ننزله إلا بقدر معلوم". وقال تعالى: "وما ننزله إلا بقدر معلوم".
 وقال تعالى: "وما ننزله إلا بقدر معلوم". وقال تعالى: "وما ننزله إلا بقدر معلوم".
 وقال تعالى: "وما ننزله إلا بقدر معلوم". وقال تعالى: "وما ننزله إلا بقدر معلوم".
 وقال تعالى: "وما ننزله إلا بقدر معلوم". وقال تعالى: "وما ننزله إلا بقدر معلوم".
 وقال تعالى: "وما ننزله إلا بقدر معلوم". وقال تعالى: "وما ننزله إلا بقدر معلوم".

١. سورة الشورى (٤٢) : ٥٢ .

الباب السابع

في الارادة والكراهة

فكرت وقلت من أصول هذا الباب مسألة الارادة ، فألقيت الى الناس أنه تعالى مرید بذاته أو بارادة قديمة وأنه يريد جميع المعاصي والكفران ويكره من الكفار ايجاد الايمان ، وأنه أراد قتل الانبياء والمؤمنين وأراد عبادة الاوثان وسب رب العالمين . فقبلتم ذلك مني ووافقتموني عليه وناضلتهم عنه .

وأنكرت المعتزلة ذلك أشد انكار ، وقالوا : هذا يخالف الدين ، وتلوا « وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ » وقالوا : ارادة القبيح قبيحة والحكيم لا يخلق سب نفسه ولاقتل أنبيائه ، وكيف يأمر بشيء ثم يكرهه ؟ وكيف ينهى عن شيء ثم يريد به ؟ قالوا : وقد فعل تعالى غاية ما يدل على أنه تعالى لا يريد المعاصي من النهي والزجر والايعاد بالعقاب واقامة الحدود وايجاب اللعن .

حضر جماعة من المعتزلة مع المجبرة ، فقال معتزلي لمجبر : وما الذي أراده الله من فرعون ؟ قال : الكفر . قال : وما الذي أراده ابليس ؟ قال : الكفر . قال : وما الذي أراده فرعون ؟ قال : الكفر . قال : وما الذي أراده موسى ؟ قال : الايمان . قال : فاذاً هو المخالف لله وابلليس موافق . فانقطع .

وحضرتني جماعة منهم يوماً وجرت هذه المسألة ، فقالت بعض المعتزلة :

لعن الله الشيطان وجنده حيث خالف الرحمن وحزبه . فقال بعض المجبرة : لم تلعن هذا الشيخ وقد وافق الله في الارادة ؟ فقال المعتزلي : كذبت ! بل خالف الله ووافقكم وأنتم حزب الشيطان ونحن حزب الله ، « ألا ان حزب الله هم المُفْلِحُونَ »^(١) .

وسأل أبو عثمان الجاحظ^(٢) أبا عبد الله الجدلي : هل أمر الله المشركين بالايان ؟ قال : اي والله ! [قال : فهل أراده منه ؟ قال : لا والله . قال : أفيعذبه عليه ؟ قال : اي والله]^(٣) قال : فهذا حسن ؟ قال : لا والله !

وسأل عدلي مجبراً : ما تقول ، ارادة الله أحسن وأفضل للعباد أم ارادة رسوله ؟ قال : بل ارادة الله احسن . قال : أليس عندك أنه أراد الكفر وقتل الانبياء والمعاصي والزنا والسرقه وعبادة الاوثان ، وأراد النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - الايمان والطاعة وترك المعاصي؟ فقد زعمت أن الكفر أحسن وأفضل من الايمان . فقال : أقول ارادة الرسول . فقال : زعمت أن ارادة العباد واختيارهم خير وأفضل من ارادة أرحم الراحمين . فانقطع .

وسأل عدلي مجبراً فقال : ما تقول ، ارادة ابليس للعباد خير أو شر ؟ فقال : شر لانه أراد أن يضلوا ويكفروا . فقال : أو يستحق بذلك اللعنة ؟ قال : نعم . قال : أليس عندك أنه تعالى أراد ذلك ؟ فوجب أن يكون ارادته أيضاً شراً . فانقطع .

وسأل عدلي مجبراً فقال : ما تقول في رجل زعم أن جميع ما كان في أيام

١ . سورة المجادلة (٥٨) : ٢٢ .

٢ . هو عمرو بن بحر الكنانى البصرى ، كبير أئمة الادب ومن رؤساء المعتزلة . مات

سنة ٢٥٥ .

٣ . التكميل من الصراط المستقيم ٣ : ٦٧ .

النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - من الكفر والفجور وعبادة الاصنام
والوثن والقتن كان منه أو بفعله و ارادته ، ما تقول فيه ؟ قال : أقول انه زنديق كافر
يستحق القتل لسوء ثنائه على رسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - . قال :
فلو قال ذلك فى أبي بكر وعمر أو فى واحد من الصحابة ؟ قال : أقول يقتل
ويجرم لظنه فى الصحابة . قال : أليس عندك أن جميع ذلك من الله وخلقه
وارادته ؟ أليس هذا سوء ثناء عليه ؟ أتحب تنزيه النبي والصحابة ولا تحب تنزيه
رب العالمين ؟ فانقطع ^(١) .

وسأل عدلي مجبراً فقال : جرى اليوم بين الرجلين حديث أريد أن أعلم
حقيقته : قال : هات ! قال : جرى ذكر الكفر والمعاصي وترك إبليس السجود
لادم ، فقال واحد كان جميعه من الله و ارادته وخلقه ، وقال الاخر بل كان ذلك
من إبليس والله منه بريء ، فأيهما أحق ؟ قال : الحق ما قال الاول وصدق فيه ،
ان جميع الكفر والمعاصي والضلال من قبله تعالى والشيطان منه بريء ، وكذب
الثاني حيث أضافه الى الشيطان . قال : بل كذبت ! تنزهه الشيطان ولا تنزه
الرحمن ؟ فانقطع .

وكان مجبر يقص وكان فى قصصه : كان النبي يحب ايمان أبي طالب ويكره
ايمان وحشي ^(٢) لقتله حمزة ، فنزل جبريل وقال : يقول الله ما تحب وتريد
لا يكون وما تكرهه يكون ، يؤمن وحشي ولا يؤمن أبو طالب . قال : وفيه
نزل : « انتك لا تهدي من أحببت » ^(٣) ، وفي وحشي : « قل يا عبدي

١ . نقل بتلخيص فى الصراط المستقيم ٣ : ٦٧ - ٦٨ .

٢ . هو وحشى بن حرب الحبشى ، قاتل سيدنا حمزة عم رسول الله . مات فى خلافة
عثمان .

٣ . سورة القصص (٢٨) : ٥٦ .

الَّذِينَ آسَرُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَاتَمْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ»^(١). فقال عدلي:
الى متى تكذب على الله ورسوله وكتابه وتضعه غير موضعه؟ كأنّ هذا نزل برغم
النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - . فصفعوه وأخرجوه .

وجاء نصراني الى رجل معتزلي وقال : اريد أن أسلم على يدك فقد عرفت
الحق . قال : وكيف ذلك؟ قال : اختلفت الى رجل أدوي عينه فقال لي يوماً:
قد وجب علي حقتك وأريد أن انصحك ، قلت : ما ذاك؟ قال : أسلم ، قلت :
تريد نصيحتي واسلامي؟ قال : نعم ، قلت : فالله يريد نصيحتي واسلامي؟
قال : لا ، قلت: فأيهما أحق ، أن أعبد وأشكر من يريد نصيحتي واسلامي أو من
لم يرده، فانقطع^(٢)، فقلت ان القوم ليسوا على شيء...^(٣) وأسلم وحسن اسلامه.
فقال العدلي : صدق فان في زعم المجبرة أنه تعالى يريد فساد الخلق وأن
يعذبهم وخلقهم للكفر ، فمن أراد صلاحهم فهو المنعم الذي يجب شكره . ومن
كان هذا بناء مذهبه كفى به خزياً .

١ . سورة الزمر (٣٩) : ٥٣ .

٢ . نقل في الصراط المستقيم ٣ : ٦٨ .

٣ . يجب أن يكون هنا سقط في الاصل .

الباب الثامن

الكلام في القرآن

فكرت وقلت : مدار أمورهم على القرآن ، عليه يعتمدون والى آياته يرجعون ومنه يأخذون ويتلون « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ^(١) ، ويروون عنه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : عليكم بالقرآن فان فيه خير ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما آتيتكم ، وعلمت أني لودعوتهم الى رفض الكتاب أصلاً ماتمشى لي أمر ، فطلبت للكلام مجالاً وأتيتهم حالاً فحالاً ، أستدرجهم من حيث لا يعلمون .

فألقيت اليهم أولاً أن ما في المصحف ليس بقرآن ولا كلام الله ، وأن المكتوب والمسموع من القارئ والمتلو في المحاريب والمفصل من الآيات والسور ليس بقرآن ، وانما القرآن صفة قائمة بذات الباري لا يقرأ ولا يسمع ، تنفيراً عما في المصحف . فأما أنتم معاشر اخواني فقبلتم ذلك وجعلتم ذلك عمدة وأوصى به السلف الخلف ، ورددتم على المعتزلة حيث خالفوكم وخالفوني وقالوا : كلام الله سور وآيات والقرآن مسموع ومتلو ومكتوب ومحفوظ ، وأنه تعالى كلم موسى في وقته وكلم محمداً في حينه ، وكيف يقول : يا موسى « ألقِ عَصَاكَ » ^(٢) وبعد لم يخلق موسى ولا العصا ؟ وكيف يقول : « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ

١. سورة آل عمران (٣) ١٠٣ .
٢. سورة الاعراف (٧) ١١٧ وسورة النمل (٢٧) ١٠ وسورة القصص (٢٨) ٣١ .

ثم فتأندِر «^١ وبعد لم يخلق أحداً؟، وقالوا : كلام الله هو هذه السور والايات وهو القرآن وكذلك قال الله تعالى : « انّا أنزلناه قُرْآنًا عَرَبِيًّا »^٢ وقال : « ق وَاللُّرَّانِ الْمَجِيدِ »^٣، وما فلتتم فيه وما جئتم به من صفة الكلام فهو غير معقول . وكثر الكلام بينكم وبينهم حتى ظهر الحق ، وعلمت أن هذا الباب لا يتمشى في المعتزلة .

ففكرت وألقت اليهم ان هذا الكتاب جمع عثمان - والغرض التشكيك في القرآن - وأن فيه زيادة ونقصاناً ، وأن بعضه ضاع كما أن بعضه شاع . فقبلتم ودونتم ورويتهم أن داجناً أكل بعضه وأن بعضهم غير بعضه . وقالت المعتزلة : هذا شر من الاول ففيه هدم الدين ، وكيف يضيع ما ضمن حفظه رب العالمين فقال « انّا نحن نزلنا الذكر وانّا له لحافظون »^٤؟ وان هذا القرآن أنزل على رسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كما هو الان ، نزات الايات والسور وبين المواضع والمبادئ والمقاطع ، وكان كثير من الصحابة يحفظونه كله كأمر المؤمنين - عليه السلام - وابن عباس وأبي بن كعب وعثمان وأبي هريرة وعمر بن الخطاب وغيرهم ، ولما كان يوم مسيلمة الكذاب وقتل حفاظ الكتاب أمر الصديق بكتابة القرآن في المصاحف ثم جمعه عثمان على مصحف هو التام كما كان في أيام رسول الله ، ورووا أن أياً قرأ القرآن كله على رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وأن علياً قرأه على رسول الله كما هو .

١ . سورة المدثر (٧٤) : ١ .

٢ . سورة يوسف (١٢) : ٢ .

٣ . سورة ق (٥٠) : ١ .

٤ . سورة الحجر (١٥) : ٩ .

فصل

حضرت مجلساً حضره المعتزلة والمجبرة ، فقال بعض المجبرة : أنزل الله تعالى القرآن بعضه متشابهاً ليضل الناس عن الدين ، ولو أراد هديهم لانزله محكماً . فقال المعتزلي : كذبت بل أنزل الله كذلك ليدبروا آياته ويعلموا الحق ويميزوا المحكم ويردوا اليه المتشابه ليستحقوا الثواب ، كما وصفهم بأنهم الراسخون في العلم ، وكيف يقال هذا والله تعالى يقول : « تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً »^١ وقال : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »^٢ فبهت .

وسئل مجبر : ماتقول ، القرآن مخلوق ؟ قال : لا . قال : لم ؟ قال : لانه لو كان مخلوقاً لكان ابن عم الخليفة ، لانهما عربيان مخلوقان . قال : فقل قصيدة امرئ القيس ابن عم الخليفة . فانقطع .

قيل لابي مجالد^٣ : أنت تقول القرآن مخلوق ؟ قال : لا . فقيل : أتقول انه خالق ؟ قال : هو شر . قال : فاذا كان لخالق ولا مخلوق فكيف أقول ؟ وقيل لعديلي : ماتقول في القرآن ؟ قال : لأعرف غير شيئين خالق ومخلوق ، فانظروا أيماهو .

ودخل أحمد بن حنبل^٤ على بعض الولاة تشبه بمصاب ، فقال : ما بالك ؟

١ . سورة النحل (١٦) : ٨٩ .

٢ . سورة الاسراء (١٧) : ٩ .

٣ . كذا في الاصل ، ولعله محرف . وكيف كان فلا يمكن أن يكون هذا أبا مجالد أحمد بن الحسين البغدادي المعتزلي ، الماضي ذكره ، بل كان هو أحد مخالفي المعتزلة كما هو واضح من سياق الكلام .

٤ . هو أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، امام المذهب . توفي سنة ٢٤١ .

قال : وقعت مصيبة عظيمة ! قال : وما هو ؟ قال : مات القرآن ! قال : كيف وكيف ؟ قال : اذا كان مخلوقاً جاز أن يموت . قال : ليس هو حياً حتى يموت ، انما هو كلام . فانقطع .

وقيل لمجبر : القرآن معجز ؟ قال : نعم . قال : فمن شرط المعجز أن يكون عقيب الدعوى ويختص بالمدعي ، والقديم لا يختص . فسكت .

وسأل عدلي مجبراً : هل يقدر الله أن يكلم أحداً ؟ فقال : لا ، لان الكلام ليس بمقدور . فقال : هو أضعف من العباد ؟ فقال : نعم ، يقدر . فقال : قد قلت الكلام مقدور . فانقطع .

وحكى بعض مشايخ الجبرة أن ابراهيم الخواص^(١) رأى رجلاً مصروعاً فأذن في أذنه ، فنادى الشيطان في جوفه : دعني أقتله فانه يقول القرآن مخلوق . فقال معتزلي : ان كان الشيطان يقدر على القتل فهلا قتل جماعة المعتزلة ، ولكن الحمد لله حيث لم نوافق الشيطان ووافقتم أنتم . فانقطع .

فقالوا يا شيخنا ما رويتم يا ابن آدم : يا ابا الله من شيطان له قوة
تألموا عليه ولحقوا بما اتوا به من قوة وتألموا على ذلك الا ان الله
أعلم بقلوبهم وما نأمنون ان تألموا الله في خلقه تألموا راسي اليه انما قال
تعالى كذا راية انا ؟ بالمعنى انما يقدر على راسي انما قاله الله انما قال
تعالى فمتى انما يقدر على تألمه بما قاله من خلقه انما قاله الله تعالى
وهو يقدر على ذلك انما قاله الله تعالى انما قاله الله تعالى انما قاله الله تعالى

١ . هو ابراهيم بن أحمد بن اسماعيل السامرائي ، من مشايخ الصوفية . توفي

سفيح : نالة ! نأ يقاا تالذ : نالة ؟ مه لبع : نالة ! فمبلفه فبيبهه شفق : نالة
ات ومبارحه لبع مه سجا : نالة . ت ومه نأ زله لة ملبضه نالا اءا : نالة ؟ سفيح
ملقالة . وكلا مه لعا .

الباب التاسع

في النبوات

لما رأيت أن أساس أمرهم على النبوة وقواعد دينهم على الرسالة فبهم
يحتج الله على العباد حيث قال : « رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ »^١ وقال : « وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ
حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا »^٢ ، ووجدتهم أجمعوا على النبوات وعيدوه أصلا
وردوا على البراهمة واليهود في انكارها ، علمت أن لامجال للكلام في دفعها
أصلا . فدبرت في هدمها من وجه لا يعلمون وأتيت في ذلك شيئا فشيئا من
حيث لا يشعرون .

فأول ما أقيمت من هذا الباب : أن الرسول لامعنى له والكتاب لافائدة
فيه ، لانه اذا كان الايمان والكفر خلق الله والكافر لا يؤمن اذا لم يخلق فيه الايمان
وان ملا الدنيا بالرسول والكتب ، وان خلق فيه الايمان آمن وان لم يكن ثم
رسول ولا كتاب ، فأى فائدة للرسول وأي تعلق له بالاعمال ؟ واذا قيل لئلا يكون
للمعباد حجة فقولوا أي حجة أعظم من أن يقول : خلقت في الكفر واراوته وأعطيت
الاستطاعة الموجبة له ومنعتني من الايمان ولم تخلفه ولم ترده ، فهل ينفع مع

١. ان سورة النساء (٤) : ١٦٥ .

٢. سورة الاسراء (١٧) : ١٥ .

هذا رسول وتقطع حجة ؟ . فقامت المعتزلة على انكار هذه المقالة وقابولوا
بالرد ، وقبلتم أنتم ، فشكر الله سعيكم !

ولما أظهرت هذه الفصول في أمر الرسول قام معتزلي وقال : كذبت ياعدو
الله على الله وعلى رسله ، بسل العبد مخلى كما قال : « وَقِيلَ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّكَ فَآمَنَ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ » (١) . قلت لمشايخنا :
أجيبوه ! فلم يكن عندهم شيء .

ولما لم يقبلوا مني هذا دبرت فألقيت اليهم أن الانبياء يكذبون ويذنبون ،
وأن آدم أكل الشجرة حتى أخرج من الجنة ، وأن ابراهيم كذب ثلاث كذبات ،
وأن يونس غضب على ربه فحبس في بطن الحوت بعقوبته ، وأن داود عشق
امرأة اوريا فأمر به فقتل فتزوج بامرأته بعد أن كان قال كلني الى نفسي ، وأن
سليمان عبد الصنم في بيته وجلس الشيطان على سريره ملكه وباشر نساءه وجواريه
في حال الحيض ولم يصل العصر اشتغالا بالخيل ثم عاقبها بضرب الاعناق ،
وأن يوسف قعد بين فخذي امرأة العزيز حتى نودي بالنهي عن الذنب ، وأن
اخوته القوه في الجب وهم بالغون أنبياء لما آثره أبوه عليهم بالحب ، وأن
محمدأ مدح الاصنام فقراً : « تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترتجى » ، وأنه
عشق امرأة زيد فحملهما على الافتراق فأمر زيدا بالطلاق ثم تزوج بها وخاف
الناس ولم يخف الله . كل ذلك تنفيراً عن المرسلين الذين هم أصل الدين .

فقبلتم ذلك مني وذكرتم ذلك على المنابر ودرستم في المدارس ودونت
ذلك في الكتب ، غير هؤلاء المعتزلة - الذين هم أعدائي وأعداؤكم - أنكروا
ذلك كله وقالوا : الانبياء معصومون عن الخطأ والزلل في القول والعمل ، وأن
أقوالهم وأفعالهم حجة ، وأنهم شهداء الله على خلقه والقائمون على دينه وهم

١. سورة الكهف (١٨) : ٢٨ .

المختارون الموصوفون بأنهم المخلصون .
ولما وقعت هذه المسألة وأظهر كل مذهبه لم يصدقوا شيئاً مما روينا ولا قبلوا شيئاً مما قلنا ، وذكروا أنه قيل الشيطان ودسيس الملاحدين ، وكيف يجوز ذلك عليهم وهم الاخير الابرار كما قال الله : « وَأَنْتَهُمْ عِنْدَنَا آمِنِ الْمُصْطَفَيْنَ الْاٰخِيَارِ » ، فطالبنا المعتزلة بتصحيح مذهبهم ، فذكروا أمراً معقولا وتلوا آيات وفصولا .

قلنا : وما معنى قصة آدم ؟ قالوا : كان نهي تنزيه لانهي تحريم ، او ترك الاستدلال فأكل غير ما وقع اليه الاشارة بالمقال . قلنا : فما باله سمى ابنه عبد الحرث حتى وصفا بأنيهما جعللاه شركاء ؟ قالوا : كذبت ! لم يكن ذلك من آدم وانما كان قوم من أولاده قالوا ذلك .

قلنا : فما معنى قول ابراهيم : « فَتَنْظُرْ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ اِنِّي سَقِيمٌ » ؟ قالوا : كان سقيماً . قلنا : قوله « بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ » ؟ قالوا : قال بشرط أن كلموا .

قلنا : فحديث داود ؟ قالوا : كل ما رويتم فكذب وزور .
قلنا : فحديث سليمان ؟ فقالوا : لم ينزل بما قلتم القرآن . قلنا : قوله « وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً » ؟ قالوا : هو جسده يمرض . قلنا : قوله « رُدُّوْهَا عَلَيَّ » ؟ قالوا : ذلك الخيل فمسح سوقها وأعناقها وسبلها .

١ . سورة ص (٣٨) : ٤٧ .

٢ . سورة الصافات (٣٧) : ٨٩ .

٣ . سورة الانبياء (٢١) : ٦٣ .

٤ . سورة ص (٣٨) : ٣٤ .

٥ . نفس السورة : ٣٣ .

قلنا : فحديث اخوة يوسف ؟ قالوا : كانوا أطفالا واذلك قالوا « نرتع ونلعب »^(١) .

قلنا : فحديث يوسف : « وَهَمَّ بِهَا »^(٢) قالوا : همها للقيح وهمه للدفع ولذلك قال الله تعالى : « كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ »^(٣) .

قلنا : فمحمد حيث قال : « تلك الغرائق العلى » في أثناء كلام رب العالمين ؟ قالوا : لا بل قرأها بعض المنافقين وألقاها في أثناء كلام خاتم النبيين . قلنا : ليس عشق امرأة زيد ؟ قالوا : كلا وحاشا .

فصل

فكرت وقلت : مدار أمر النبوة على المعجز ، فأقويت اليهم أن المعجز يظهر على غير الانبياء بل يظهر على المتنبى والكفار والمغترين ، واذا ذكر فلق البحر لموسى قابلناهم بوقوفه وجريه لامر فرعون ، واذا ذكر المسرى الى بيت المقدس قابلناهم بمسرى كثير من الناس اكثر من ذلك . فقبلتم ذلك عنى أحسن قبول واقتديتم بي فيها .
وأنكرت المعتزلة ذلك وكفروا من قال ان البحر وقف لفرعون بأمره أو جرى بذكره ، وقالوا في هذا هدم الدين .

١. مأخوذ من قوله تعالى فى سورة يوسف (١٢) : ١٢ حكاية عن اخوة يوسف :

« أرسله معنا غداً يرتع ويلعب . . »

٢. نفس السورة : ٢٤ .

٣. نفس السورة : ٢٤ .

فصل

فمعظم هذا الامر الشرائع، فألقيت بأن الحقيقة غير الشريعة . فقبلتم وصرحتم به واعتمدتم عليه وقلتم في مجالسكم : الشريعة كذا والحقيقة كذا . غير هؤلاء المعتزلة فانهم أنكروا ذلك وقالوا : الحقيقة هي الشريعة وكل ما ليس بشريعة فهو كفر، ورووا : من أدخل في ديننا ما ليس منه فهو رد ، وتلوا : « ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا » .^(١)

الخاتمة

١. سورة الحشر (٥٩) : ٧ .

الباب العاشر

الكلام في الامامة والامر بالمعروف

تدبرت أبواب الامامة فوجدت لنفسي مجالاً وفي ذلك المقام مقالا ،
ورأيت أنه بعد النبوة ليس أمر أعظم من الامامة ولا محل أجل من محل الزعامة ،
ولم يمكنني دفعها رأساً فوضعت لرفعها أساساً وقلت: بين أهل البيت والصحابة
فيها اختلاف ولا يصح الجمع بين موالاتهما ولا بد من البراءة من أحدهما .
فوقع هذا الكلام مني كل موقع ، وعند ذلك تفرق الناس : فممنهم من طار قلبه الى
أهل البيت وادعوا محبتهم واعتقدوا بغض الصحابة وشتموهم وظلموهم فأتيهم
من هذا الوجه وقلت : بأهل بيت نبيكم تمسكوا ، ومنهم من مال الى الصحابة
ودان ببغض أهل القرابة ، فكنتم اخواني من هذا القبيل فصوبتكم طلحة والزبير
في محاربة علي وواليتم معاوية وان كان حرباً للوصي ، وملتم الى يزيد وأتباعه
وان كان قتل الحسين وأشياعه ، وقلتم بامامة المروانية مع ما ظهر فيه . وأما
الفرقة الثانية فهم الرافضة قالوا : الحق لامير المؤمنين غصبه أبوبكر باتفاق
الصحابة ، وانهم كفروا بدفع صاحب الحق عن حقه ووضعه في غير موضعه .
وجاءت المعتزلة وأنكرت القولين وردوا المذهبين ونقضوا ما بنيا وهدموا
ما أسسا ، وقالوا : الحق موالة أهل البيت والصحابة وأن لم يكن بينهم خلاف
بل كان بين الكل موافقة وائتلاف ، ولذلك زوج علي - عليه السلام - ابنته من
عمر وبابكر يوم البيعة ورضي في الشورى بعثمان ، ولذلك أمسك عن

القتال وعن سوء المقال ، ولذلك كان يشاورهم ويشاورونه ويصلي بصلاتهم حيث يصلون وما نقض شيئاً من أحكامهم في أيامه ولا اعترض على أمر من أموره، ولذلك أمر عمر علياً بفسله ودفنه وبعث اليه عثمان يستنصره ويستسقيه، فكل ذلك يدل على الموافقة. وذكروا أن كل واحد من المذهبين غلو وتقصير، وأن الحق في ما بين ذلك وهو الجمع بين موالاتهم .

وروا في فضل أهل البيت أخباراً وآثاراً ، كقوله تعالى : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ »^(١) ، وكقوله في مدحهم في هل أتى : [وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا]^(٢) وكقوله : « تَتَوَتُّونَ الزُّكُوفَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ »^(٣) وحزب الله هم أهل بيت رسول الله ، وكقوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : علي مني وأنا منه ، وكقوله : أنت مني بمنزلة هرون من موسى ، وكقوله : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، وكقوله : حبك ايمان وبغضك نفاق ، وكقوله : هو أخي ووصيي ، وكقوله : مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى ، وكقوله : اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وكقول عمر : لولا علي لهلك عمر ، وكما روى في حديث : أعداء علي يمرقون من الدين ويفارقون جماعة المسلمين .

وذكروا في الصحابة أنهم أنصار الحق والذابون عن حريم الدين المجاهدون في سبيل الله، وتلوا: « وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

١. سورة الشورى (٤٢) : ٢٣ .

٢. سورة الانسان (٧٦) : ٨ .

٣. سورة المائدة (٥) : ٥٥ - ٥٦ .

وَالْأَنْصَارِ ... »^١ ، و« لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ »^٢ ، و« ثَانِيَيْنِ إِذْهُمَا فِي الْغَارِ »^٣ ، وكقوله : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، وكقوله : من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ، وكقوله في ذم الرافضة ما هو أشهر من الشمس بأنهم يسبون الصحابة وأنه منهم بريء .

فلما ذكروا هذه الايات ورووا هذه الاثار واحتجوا بها ضاق قلبي بهم وقلّت حيلتي فيهم ، ولولا هؤلاء لتبعني الناس أجمعون .

ومما ألقى اليهم من هذا الباب أن الطاعة تجب لكل متغلب ولو كان عبداً حبشياً ، وأنه لا يجوز الخروج على أحد وان كان ظالماً جائراً ، ألتمس بذلك ابطال الامامة والامر بالمعروف وترك الخروج على الظلمة ليظهر الفساد ويخفى السداد ويندرس الحق . فقبلتم ذلك عني ورويتم في تأييده الاحاديث وتقربتم الى أئمة الضلال والى الجهال .

وأنكرت المعتزلة ذلك أشد انكار ، وقالوا الامامة تجب لكل تقي معصوم لا يظلم ولا يجور ، وان دفع الظلم والظلمة واجب بحسب الامكان ، وتلوا : « وَأَنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ... »^٤ وتلوا : « وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنِ عَنِ الْمُنْكَرِ »^٥ ، ورووا في ذلك آثراً وأبطلوا بذلك ما أصالت وأفسدوا ما صححت .

١ . سورة التوبة (٩) : ١٠٠ .

٢ . سورة الفتح (٤٨) : ٢٨ .

٣ . سورة التوبة (٩) : ٤٠ .

٤ . سورة الحجرات (٤٩) : ٩ .

٥ . سورة لقمان (٣١) : ١٧ .

فصل

فكرت وقلت : لأجد أعظم في هدم الدين أثراً من معاوية ، فإنه أول من خرج على أمير المؤمنين - عليه السلام - ثم تبعه السفينانية والمروانية ، فهو المؤسس وهم بنوا وهو مهد الأمر وعلى طريقته مشوا . فألقيت اليهم بأنه فعل ما فعل باجتهاد ، وأنه ما أصاب ولا يجوز لعنه ، وأنه كان اماماً من أئمة المسلمين ، وأن لعنه خطأ وأنه خال المؤمنين وكاتب كلام رب العالمين ، وأن أهل بيته كلهم أئمة لا يجوز البراءة منهم بل يجب موالاتهم .

وأنكرت المعتزلة ذلك أشد انكار وقالوا : معاوية باغ ضال ، فمرة ضلوه لخروجه على امام المسلمين وقتل عمار بن ياسر^(١) سيد أصحاب أمير المؤمنين ، ومرة كفروه بالحاق زياد^(٢) بأبيه مع نفي رسول الله عنه إياه وادعاء أبيه وقتل حجر بن عدي^(٣) صبراً وأمره حتى سم الحسن ثم تغلب على الدنيا فأظهر الظلم والعناد ومذاهب الالحاد ، وقال النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : معاوية في تابوت من النار ، وقال : إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه ، وقد لعنه أمير المؤمنين في قنوته ، وقال - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لعمار : ستقتلك الفئة الباغية فقتله معاوية . ثم جرى على طريقه السفينانية ، فقتل يزيد

١ . هو الصحابي الجليل ، الذي استشهد مع أمير المؤمنين بصيفين سنة ٣٧ .

٢ . هو زياد بن أبيه ، ولي العراق لمعاوية وبها مات سنة ٥٣ . ولدته سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي واختلفوا في من هو أبوه ، فثبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة ، الى أن ادعى معاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفیان فألحقه بنسبه في سنة ٤٤ . والى هذا يشير المؤلف في المتن .

٣ . هو حجر بن عدي بن جبلة الكندي . صحابي جليل . سكن الكوفة ، وقتل مع أصحابه بأمر معاوية في مرج عذراه من قرى دمشق سنة ٥١ .

- لعنه الله - حسيناً - عليه السلام - وشيعته وسبعة عشر من أهل بيته ، وسلط على الناس من أهل البيت زياداً^(١) ، ومات سكران . وتبعهما المروانية فأظهر الوليد^(٢) الالحداد، وقتل هشام^(٣) زيد بن علي^(٤) - عليه السلام - ، ومات مروان الحمار^(٥) وهو زنديق . وقد قال رسول الله : اذا بلغ بنو أبي العاص^(٦) ثمانين رجلاً اتخذوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دغلا . وذكروا أن الشجرة الملعونة في القرآن هم بنو مروان ، وأن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لعنهم .

لقيت يوماً معاوية فقلت : جمعني واياك وقومك دار الندوة ، ندبر في أمر محمد ودينه . قال : نعم . قلت . فلماذا تنصر دينه وتركت دين الاباء وخالفت اولئك الشيوخ الكبار ؟ فقال : أنا على رأس أمري أطلب فرصة ، وقد فعلت ما فعلت وليس ثمَّ أمر حتى أردَّ الناس الى دين الاباء . ثم ذكر أصحاب القليب

١. كذا في الاصل .
٢. أى الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، عاشر الخلفاء الامويين ، الماضى ذكره .
٣. هو هشام بن عبد الملك بن مروان ، الخليفة الاموى . بويح بالخلافة سنة ١٠٥ ، ومات سنة ١٢٥ .
٤. هو زيد بن علي بن الحسين ، العلوى الهاشمى . ثار على الامويين واستشهد فى سنة ١٢٢ . اليه تنسب الفرقة الزيدية .
٥. هو مروان بن محمد بن مروان ، آخر الخلفاء الامويين بالشام . استولى على الحكم فى سنة ١٢٧ ، وقتل فى سنة ١٣٢ .
٦. هو أبو العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى ، جد الخليفة عثمان ابن عفان ومروان بن الحكم رأس الدولة الاموية المروانية .

وبكى عليهم وأنشد القصيدة الحاثية التي قالها أمية بن [أبي] الصلت^(١) يرثي
من أصيب من قریش يوم بدر ، أولها :

م بنى الكرام أولى المماح	ألا بكيت على الكرا
ع الايك في الغصن الجوانح	كبكا الحمام على فرو
نات يرحن مع الروائح	يبكي من حرى مستكي
ت المعولات من النوائح	أمثالهن الباكيا
حزن ويصدق كل مادح	من يبكهم يبكي على
قل من مرازية ججاجح	ماذا يبدر فالعقة
ليسل مغاوير وحاوح	شيخ ^(٢) وشبان بها
ريق نقى اللون واضح	من كل بطريق لبط
ن الامرين بكل صالح	القائلين الفاعلي
ق الخبز شحماً كالانافح	المطعمين الشحم فو
م مزينة وزن الرواجح	لكرامهم فوق الكرا
قسطاس في الايدى الموائح	كتناقل الا زطال بال
يحمون عورات الفضائح	خذلتهم فئة وهم
ة ^(٣) بالمهنة الصفائح	الضاربين الاقدمي

١. هو أمية بن عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي ، شاعر جاهلي من أهل الطائف ، وبها

مات سنة ٥ من الهجرة . والشعر في ديوانه المطبوع : ٣٤٥ - ٣٥١ .

٢. في سيرة ابن هشام ٣ : ٣١ (من طبعة القاهرة - ١٣٥٥) والعقد الفريد ٣ : ٣٠٠

والديوان ٣٤٦ (دمشق - ١٩٧٤) وشرحه : ٢٤ (بيروت - ١٩٨٠) . شمت ،

وفي البصائر والذخائر لابي حيان (٢ : ٦٨٢) : شيب .

٣. في الديوان : التقديمية .

فقلتهم بل ألقوا بثلاثة
 و لقد أعنا بني صوتهم
 لله درّ بني لوي^(٢)
 ان لم يغيروا غسارة
 بالمقربات المبعدا
 مردأ على جرد الى
 حتى يلاقى كل قرن
 بزهاء ألف ثم ألف
 رة كأضجاع الذبائح^(١)
 من بين مستسق وصائح
 أيتّم منهم وناكح
 شعواء تججر كل نابح
 ت الطامحات مع الطوامح
 أسد مكالبة كوالح
 قرنه مشي المصافح^(٣)
 ف بين ذي بدن ورامح

فلما فرغ من انشاد القصيدة تنفسنا الصعداء وبكىنا عليهم وجرى بيننا أحاديث .
 فاذا معتزلي قام وقرأ : « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ »
 - الآية^(٤) فكانه ألقمهم الحجر . ثم قرأ : « يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ
 بِأَفْوَاهِهِمْ - الآية^(٥) . قلت أخرجوه !

فصل

اجتمع يوماً في ناد ناس ، فجري ذكر معاوية فمدحه بعض مشايخنا فقال :
 هو امام من الائمة . فقام معتزلي وقال : أتقول له وقد فعل وفعل ... - يعد معائبه
 ونحن ساكتون - ، ثم أنشأ يقول :

- ١ . هذا البيت لم يرد في الديوان .
- ٢ . في الديوان : بني علي .
- ٣ . في الديوان : ويلاق قرن قرنه مشي المصافح للمصافح .
- ٤ . سورة التوبة (٩) : ٣٣ .
- ٥ . نفس السورة : ٣٢ .

قالت تحب معاوية؟ قلت اسكتي يا زانية
 قالت أسأت جوانبا فأعدت قولي ثانية
 يا زانية يا زانية يا بنت ألقى زانية
 أحب من شتم الوصي أخا النبي علانية؟
 فعلى يزيد لعنة وعلى أبيه ثمانية (١)

ثم قال : قيل لاعرابي أتحب معاوية ؟ قال: وجدت معه أربعة ان قلت معها أتحبه
 لتكفر ، قيل : وما هي ؟ قال : قاتل أبوه النبي مراراً ، وقاتل هو وصيه ، وقتل
 ابنه يزيد الحسين بن علي، وأخرجت أمه هند كبد عم [النبي] حمزة . فقال من
 حضر : لعن الله معاوية !

حكى معتزلي أن أباسفيان جاء الى علي - عليه السلام - يوم السقيفة وقال :
 أترضى أن يلي عليك بنو تميم ؟ أخرج وحارب ؟ لاملأن المدينة خيلا ورجلا .
 فقال - عليه السلام - : قد علمت أنك ما نصحت الاسلام وأهله قط ! أتأمرني أن
 أقاتل الصديق ؟ وحكي أنه دخل على عثمان يوم بويح له وقال : اني لارجو أن
 يعود ديننا كما عاد ملكنا ! فأمر عثمان فأخرج ، وقال : لو لا أنه شيخ خرف
 لقتلته .

١. الشعر للصاحب بن عباد في الكامل البهائي لعماد الدين الطبري - من القرن
 السابع - ٢ : ٢١٥ (طهران - ١٣٧٦) وروضات الجنات ٢ : ٣٠ (طهران -
 ١٣٩٠) ، وهو ساقط من الديوان المطبوع والسبب ظاهر . وانما أثبتناه أعلاه
 حفظاً للنص ، كما احتفظنا على كل ما جاء في الكتاب من التهجم العنيف على
 الفرق المختلفة بما فيها الامامية وأكابره .

ولما قتل عمار^١ قال عبد الله بن عمر^٢ : وقتل عمار؟ قال معاوية : فماذا
نفعل؟ قال : أليس النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال « ستقتلك الفئة
الباغية »؟ قال : نحن ما قتلناه ، وإنما قتله علي حيث جاء به الى الحرب ! قال :
وحزمة قتله النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - حيث جاء به الى أحد؟

مشهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الرسالة في الامانة والبراءة

والصالحين...
والله اعلم بالصواب
في سنة...
الحمد لله الذي جعل...
والصالحين...
والله اعلم بالصواب
في سنة...
الحمد لله الذي جعل...

١. أي عمار بن ياسر ، الصحابي الجليل ، الماضي ذكره ...
٢. هو عبد الله بن عمر بن الخطاب ، صحابي فقيه ، وهو آخر من توفي من الصحابة
بمكة في سنة ٧٣ .

الباب الحادى عشر

فى الاجال والاموال والارزاق

رأيت من عظيم هذا الباب أمور الدماء والاموال، فوجدت لنفسى المجال.
فألقيت بأن الحرام والمغصوب كلها أرزاق من غضبها وأكلها ، أسهل عليهم
أمور الاموال ليسهل الغصوب والظلم . فقبلتم ذلك .

وأنكرت المعتزلة وقالوا : الحرام لا يكون رزقاً ، ولذلك مدح الله المنفق
من رزقه وذم الغاصب على غضبه وأمر السارق بقطع يده وقاطع الطريق بقتله
وصلبه ، ومن المحال أن يجعله رزقه ثم يعاقبه عليه .

فلما رأى بعض مشايخنا هذا الالزام قالوا : بأي شىء نستريح من هؤلاء
المعتزلة ؟ فقالوا : الاموال والفروج كلها على الاباحه ، والمنع ذنب ، وليس
فى المظالم عقوبة ولا فى الظلم تبعه . فعند ذلك تحيرت المعتزلة وقالوا : ما
نقول لهؤلاء ؟ وسمونا الاباحية .

حكى معتزلى أن الصاحب^(١) شكى اليه بعض السراق فسأله عن حاله ،
قال : فلما بلغنا مكان كذا فاذأ قضاء الله وقدره كان بأن يسرق منا . فقال الصاحب :
تمسك بهذا السارق فأنا لأقدر على دفعه .

وقيل لمعجبر : أليس الله خلق السرقة فى السارق وجعل المسروق رزقاً له ؟

١ . يعنى ابن عبادى، الماضى ذكره .

قال : نعم . قال : فما بال قطع يده ودمه ولعنه ؟ فسكت وقال : لا اعتراض على الرب .

وقيل لصوفي : ان فلاناً يأخذ مالك ويزني عيالك . قال : لأمنعه عن شيء يشتهيها ، فالمنع والقطع حرام !

فألقيت في الخواطر أن المقتول الله قتله وهو متفرد بالقتل لان المتولد لا يكون فعل الانسان ، أريد بذلك ابطال القصاص والديات وتسهيل القتل . فتم لي ذلك فيكم . وأباه المعتزلة أشد الاباء وقالوا : هو فعل العبد والمذالك يجب القصاص والدية والكفارة والتوبة ، وقرأوا قوله : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا »^(١) وقوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : من قتل مؤمناً يجيء يوم القيامة آيساً من رحمة الله .

وألقيت بأن المقتول لو لم يقتل لومات ، أريد بذلك أنه قتل لاجله دفعاً للذنب عن القاتل . فقبلتم وأنكرت المعتزلة وقالوا : لو لم يقتل كان يجوز أن يعيش ويبقى ، لانه تعالى قادر على ان يبقيه ويميت ، فما معنى القطع لاحد الامرين ؟ وسأل عدلي مجبراً عن قتل الانبياء أكان خلق الله أم لا ؟ فقال : بل خلق الله . قال : فما معنى ذم اليهود بأنهم يقتلون النبيين بغير حق^(٢) وهو القاتل ؟ فسكت . ووجدت الشريعة وردت بالقصاص والعقوبة في العمد والدية والكفارة في الخطأ ، فألقيت بأن القتل ليس فعل العبد اذ هو الجراحات تفرد الله بفعلها - أروم ابطال ما وردت به الشريعة - وأي معنى للفرق ، والخطأ لايجوز على الله تعالى ؟ اذ لو رفعت القصاص أصلاً لما قبل مني . فقبلتم وأباه المعتزلة .

١ . سورة النساء (٤) : ٩٣ .

٢ . جاء ذلك في القرآن الكريم في سورة البقرة (٢) : ٦١ وسورة آل عمران (٣)

قال المعتزلي : أليس عندكم اذا لم يخلق الله تعالى القتل لا يكون في العالم
قتل ؟ قيل : نعم . قال : ولو خلق كان وان أوجب القصاص ؟ قيل : نعم . قال :
فما معنى قوله : « **وَأَنَّكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ** » ^(١) ؟ فانقطع .

(١) سورة البقرة (٢) : ١٧٩ .

الباب الثاني عشر

في جزاء الاعمال والوعيد

قلت عمدة هذا الباب الاقدام على الطاعات واجتناب الخطيئات، وعلمت أنني ان نهيتهم عن الطاعات وأمرتهم بالمعاصي كان صريح مخالفة الشرع ولا يروج ذلك . فألقيت أن لاجزاء على واحد، وأن الطاعة لا يستحق بها الثواب والمعاصي لا يستحق بها العقاب ، ويجوز أن يدخل الله فرعون وسائر الكفار دار القنزار والانبياء دار البوار ، أنفرت الناس عن الطاعات وأجرأهم على المعاصي . فقبلتم ذلك وقلتم : ديننا ودين آباؤنا ، مرحباً بالاتفاق !

وأنكرت المعتزلة أشد الانكار وقالوا : في هذا هدم الدين ومخالفة كتاب رب العالمين في قوله : « جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »^١ ، وان كان الامر كما زعمتم فما معنى الحساب والجزاء ؟ وما معنى الامر بالطاعة والنهي عن المعصية ؟ وتلوا : « وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا »^٢ ونحو ذلك من الايات .

وألقيت اليهم - حثاً على المعاصي وجرأة وتثبيطاً عن الطاعة - بأن يوم القيامة يحمل ذنوب أهل الاسلام على اليهود والنصارى ، ويدفع اليهم طاعة

١. سورة السجدة (٣٢) : ١٧ .

٢. سورة النساء (٤) : ١٤ .

الملائكة . فوافقتموني وأظهرتم ذلك وتأولتم الأثار عليه وقررتم عيني وطببتم نفسي ورعيتم حق الموافقة بيني وبينكم .

وقامت المعتزلة بالانكار وتلوا : « مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا »^١ ، « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى »^٢ ، « وَأَنْ لَيْسَ الْإِنْسَانِ إِلَّا مَسْحُومٌ »^٣ ونحو ذلك ، وضللوا من روى ذلك ودان به . فضاق قلبي بمخالفتهم وزاد العداوة بيني وبينهم .

فألقيت اليهم بأن الاطفال تعذب بذنوب الاباء ، غرضي بذلك اظهار القول بجواز العقوبة من غير ذنب . فقبلتم ، وخالفت المعتزلة وقالوا : أطفال المسلمين مع آباؤهم فى الجنة لقوله تعالى : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ »^٤ ، وأطفال الكفار خدم أهل الجنة كما وردت به السنة . وذكر شيخنا أبو الحسن^٥ أنه يجوز أن يعذب الله الانبياء والابرار ويشيب الفراغة ، ويكون عدلا منه . فسرتني قوله وقلت : مرحباً به ويقوله !

وأنكرت المعتزلة ذلك وتلوا الايات وقالوا : هذا لا يفعله لانه أخبر أنه لا يفعله ، وقالوا : اذا جاز له خلف الوعد فما الامان ؟

قص مجبر فقال: يوم القيامة يغفر لجميع مذنبى أمة محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ثم ينادى : يا عبادى ! أمثل هذا يؤتى ان كان لكم غناه فى

١ . سورة فصلت (٤١) : ٤٦ .

٢ . سورة الانعام (٦) : ١٦٤ .

٣ . سورة النجم (٥٣) : ٢٩ .

٤ . سورة الطور (٥٢) : ٢١ .

٥ . يعنى الاشعري ، رئيس المذهب ، الماضى ذكره .

الطاعة ، فما بالكم لم تأتونني بالمعاصي لاغفر لكم ؟ قال معتزلي : هذا اغراء بالمعاصي . فقال : رغماً لكم !

ويحكى أن مجبراً حضره الوفاة وعليه ديون جممة ، فجمع أولاده وقال لهم : اني قد علمت أني من احدى القبضتين فاحتفظوا بما لكم ولا تنقضوا عني شيئاً من ديوني ، فاني ان كنت من أهل الجنة لم يضرني شيء ، وان كنت من أهل النار لم ينفعني شيء^١ . فقال معتزلي : هذا اعتقاد جميعكم ؟ قال : نعم . قال : بمس الاعتقاد وبمس الزاد .

وسأل عدلي مجبراً - يسمى عبد الله بن داود -^٢ قال : أليس عندكم أن العبد أتى في كفره من قبل الله ، وأطفال المشركين يعذبون بذنوب آبائهم ؟ قال : بلى . قال : أفكلكم يقول هذا ؟ قال : نعم . قال : فبأي ذنب هذا ولاذنب من قبله ؟ تبألكم ! ما تقول في مشرك ولد له ابن ومات الابن ثم أسلم المشرك ، كيف حاله ؟ قال : المشرك الذي اسلم في الجنة وطفله في النار . قال : تبأ لهذا القول ، أليس بذنبه أخذ ؟ فما باله غفر له ولم يغفر لولده ؟

قال عدلي لمجبر : أليس عندكم يحمل ذنوب المسلمين على الكفار ؟ قال : نعم . قال : فالمعاصي أنفع لانه يحمل على الكفار فيغمهم ! وقال : اذاً يحمل عليه ذنبه لانه خلقه ؟ قال : نعم !

١ . نقله البياضى فى الصراط المستقيم ٣ : ٦٠ .

٢ . مر ذكره .

الباب الثالث عشر

في ذكر السلف

اجتمعت أنا وجماعة من مشايخنا مع المعتزلة ، فجرى ذكر المذاهب ، فذكر معتزلي أن لهم من الاسناد ما ليس لاحد من فرق الامه ، فإن اسنادهم يتصل بواصل وعمرو ، وهما أخذنا من محمد ابن الحنفية عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فهل لاحد سلف كسلفنا أو خلف كخلفنا ؟ وأن مذهبنا هاشمي ومذهب الجبر أموي ، وأنا سمينا بالموحدة العداية ولقبنا بالمعتزلة كما لقب ابراهيم - عليه السلام - حين قال : « وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ » ^(١) ، وعن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : من اعتزل الشر سقط في الخير . وما ورد اسم الاعتزال الا في الاعتزال عن الشر ، فلما اعتزلنا جميع البدع والضلالة ولزمنا الطريقة المستقيمة لقبنا بذلك . والحمد لله الذي هدانا لهذا وعصمنا في ديننا ودينانا .

ثم قال : يا معشر المجبرة ! عدوا رجالكم نعدوا وشمروا للقول تستعدوا . فأخذني ما قرب وما بعد ، وقلت : أجيئوا ابن الفاعلة ! فمن هو ومن سلفه وخلفه حتى يفتح علينا ويتناول هذا التناول ؟ فقبل له : ومن سلفكم ومن خلفكم

١ . سورة مريم (١٩) : ٤٨ .

بل السلف لنا والخلف منا ! فقال المعتزلي : عدوا ونعد :
 أما سلفنا فأولهم الملائكة الابرار المقربون ، لا يعصون الله ما أمرهم -
 الآية (١) ، بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره
 يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن
 ارتضى وهم من خشيته مشفقون (٢) . ألا ترى كيف أضفوا الذنب الى
 العباد فقالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن
 نستبح بيحمدك ونقدس لك (٣) . ثم من بعدهم الانبياء المرسلون . ألا ترى
 أن آدم - عليه السلام - كيف أضف الظلم الى نفسه فقال : ربنا ظلمنا
 أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (٤) .
 فقلت : انما قال زعمالى حيث قلت رب بما أغويتني (٥) . فقال : كذبت
 يا ملعون ! لو كذب لانكر عليه كما أنكر عليك .

ثم قال : ومن سلفنا يوسف - عليه السلام - حيث قال : من بعد أن
 نزع الشيطان بيني وبين اخوتي (٦) . فقلت : على الخبير سقطت !
 حضرت المجلس الذي حضره يوسف واخوته وهو يوبخهم وهم يعتذرون
 فقلت - ومعى جماعة من أصحابى وأتباعى من مشايخ المجبرة - : ما هذا
 الاعتذار ؟ والى كم هذا السكوت ؟ أليس كان هذا الايقاع خلق الله فيهم وكانوا

١ . سورة التحريم (٦٦) : ٦ .

٢ . سورة الانبياء (٢١) : ٢٨ .

٣ . سورة البقرة (٢) : ٣٠ .

٤ . سورة الاعراف (٧) : ٢٣ .

٥ . سورة الحجر (١٥) : ٣٩ .

٦ . سورة يوسف (١٢) : ١٠٠ .

لا يقدرّون على تركه فما ذنبهم ؟ فصاح مشايخنا وقالوا : أحسنت والله أنت !
وأخذ يوسف يلعنني ويوركني الذنب ويقول نزع الشيطان بيني وبين اخوتي .
فقال المعتزلي : كذبت وصدق يوسف .

ثمّ قال : ومن سلفنا موسى - عليه السلام - حيث قال : هذا من عمَلِ
الشَّيْطَانِ^(١) وقال : رَبِّ انْتَبِهْ ظَلَمْتُ نَفْسِي^(٢) . قلت : أما هذا كان
معتزلياً صلباً ولقيت منه جهداً عظيماً ، لم تنفذلي فيه حيلة .

قال : ومن سلفنا أيوب - عليه السلام - حيث قال مَسَّنِي الشَّيْطَانُ بِنَصْبِ
وَعَذَابٍ^(٣) ، ويونس - عليه السلام - حيث قال : انْتَبِهْ مِنْ الظَّالِمِينَ^(٤) ،
وسائر الانبياء حيث دعوا الى توحيد الله ونهوا عن مخالفة أمر الله ولم يعذروا
أحداً ولم يضيفوا الذنب اليه .

قال : ومن سلفنا الخلفاء الاربعة وسائر المهاجرين والانصار . وخطب علي
- عليه السلام - مشحونة بالعدل والتوحيد . ثم من التابعين كالحسن^(٥)
وقنادة^(٦) بالبصرة ، وأصحاب علي - عليه السلام - وعبد الله^(٧) بالكوفة ،

١ . سورة القصص (٢٨) : ١٥ .

٢ . نفس السورة : ١٦ .

٣ . سورة ص (٣٨) : ٤١ .

٤ . سورة الانبياء (٢١) : ٨٧ .

٥ . هو الحسن بن يسار البصرى ، من فقهاء التابعين ومن مشاهير الزهاد ، توفى

سنة ١١٠ .

٦ . مضى ذكره .

٧ . أى عبد الله بن مسعود الهذلي الصحابي ، المتوفى سنة ٣٢ .

ومكحول^(١) وغيلان^(٢) بالشام ، وكأهل الحرمين بالحجاز . ومن سلفنا أولاد رسول الله من ولد الحسن والحسين . ومن سلفنا شيوخنا المتكلمون كأبي الهذيل^(٣) وبشر^(٤) والنظام^(٥) وأبي موسى^(٦) وغيرهم ، ومن الفقهاء كأبي شجاع وزفر^(٧) ومحمد بن الحسن^(٨) والشافعي^(٩) وأمثالهم ، ومن الخلفاء كالمأمون والمعتصم^(١٠) والواثق . ومن خلفنا كأبي علي^(١١) وأبي هاشم^(١٢) وأبي عبد - الله^(١٣) وقاضى القضاة^(١٤) والسادات من العلوية وفي عد جماعتهم تطويل . فهذا ما عندنا فهاتوا ما عندكم .

١. هو أبو عبد الله مكحول بن شهراب الهذلي الشامي، فقيه الشام في عصره . توفي سنة ١١٢ .

٢ - ٦ . مضى ذكرهم .

٧. هو ابو الهذيل زفر بن الهذيل العنبري الاصبهاني ، الفقيه ، من أصحاب أبي حنيفة . ولي قضاء البصرة وبها توفي سنة ١٥٨ .

٨. هو محمد بن الحسن الشيباني الكوفي ، الفقيه ، من أصحاب أبي حنيفة . ولي قضاء الرقة وتوفي بالرى سنة ١٨٩ .

٩. هو محمد بن ادريس المطلبى . امام المذهب . المتوفى سنة ٢٠٤ .

١٠. هو محمد بن هارون الرشيد ، ثامن الخلفاء العباسيين . بويح بالخلافة بعد وفاة أخيه المأمون سنة ٢١٨ . ومات سنة ٢٢٨ .

١١. هو محمد بن عبد الوهاب الجبائي ، من أئمة المعتزلة . توفي سنة ٣٠٣ .

١٢. هو عبد السلام بن محمد الجبائي ، من شيوخ المعتزلة ، واليه تنسب الفرقة البهشية منهم . مات سنة ٣٢١ .

١٣. هو الحسين بن علي بن ابراهيم الكاغدى البصرى الملقب بالجعل ، من كبار المعتزلة . توفي سنة ٣٦٩ .

١٤. هو القاضى عبد الجبار بن أحمد الاسد آبادى الهمداني ، شيخ المعتزلة في عصره . ولي قضاء الرى وبها مات سنة ٤١٥ .

فقال رجل من المجبرة : بلى سلفنا أهل السنة .

فوثب المعتزلي وقال : أسكت ! أعد رجالك . أوأهم الشيخ النجدي (١) الذي ورك الذنب ربه ، والثاني مشركوا قريش أحالوا الشرك على مشيته ، ثم معاوية ويزيد وبنو سفيان ، ثم من بعدهم بنو مروان الشجرة الملعونة في القرآن . وان شئت من المتكلمين فخذ اليك حفص القرطوبريغوث (٢) وضرار (٣) ويحيى بن كامل (٤) والقلاسي (٥) ومن الخلف ابن كلاب (٦) وابن أبي بشر (٧) وابن كرام (٨) . فهل يقابل هؤلاء بأولئك السادات ؟ وأنشد :

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري (٩)

١ . يعنى الشيطان .

٢ . هو محمد بن عيسى برغوث . عدده الشهرستاني في اعداد المجبرة وقال أن مذهبه قريب من مذهب الحسين بن محمد النجار (الملل : ١٤١ . وراجع أيضاً قسم المعتزلة من مقالات الاسلاميين لابي القاسم البلخي : ٧٥) .

٣ . هو ضرار بن عمرو النطفاني . كان من المعتزلة ثم خالفهم وكتب في الرد عليهم . مات في أواخر المائة الثانية .

٤ . مضى ذكره .

٥ . فى الاصل : القلاسي . وهو أبو العباس القلاسي ، الماضى ذكره .

٦ . مضى ذكره .

٧ . هو أبو الحسن الأشعري . رئيس المذهب . الماضى ذكره . وكان يلقب بابن أبي بشر كما فى الفهرست لابن النديم : ١٨١ (من طبعة فلوجل) .

٨ . هو محمد بن كرام . رئيس الكرامية . الماضى ذكره .

٩ . يروى البيت للرنديس فى أمالى القالى ١ : ٢٣٩ ومعجم الشعراء للمرزبانى :

٣٠٦ (القاهرة - ١٣٥٤) وزهر الاداب للحضري ٢ : ٩٥٨ وغيرها ، ولعييد

ابن الرنديس فى الكامل للمبرذ ١ : ٧٨ (القاهرة - ١٣٧٦) والتشبيه لابي عبيد

البكرى : ٧٣ ، ولزهير فى قواعد الشعر لتعلب : ٤٧ (القاهرة - ١٩٦٦) .

فقام معتزلي من الجن وقال : أما سلفنا فحضروا رسول الله وأخذوا منه دين الله ولم يضيفوا ذنباً الى الله ، بل ردوا على المجبرة قولهم حيث قالوا : **وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً ، وَإِنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً .**^(١) ثم أخذ يطري مذهبه ويزري بمذهبتنا . فقلت لمشايخنا : أما فيكم مجيب ؟ أما فيكم معين ؟ أما أحد يقوم مقاماً فيذب عن مذهبه ؟ فما أجاب أحد جواباً .

فقرأ قارىء : **« سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا »**^(٢) . فقال بعض مشايخنا : من هؤلاء الذين قالوا بمقالتنا وأضيف اليهم الشرك ؟ فقال المعتزلي : أولئك كفار قريش أعداء رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ومنكروا دين الله . فغضبت وقلت : أولئك الملاء من قريش

بدور الدجى وشموس الضحى أسود الوغى وبحور الندى
كم من مجلس جمعني وإياهم ، وكم من تدبير جرى بيني وبينهم . كانوا
كما قيل :

وسادة عاشرتهم لم أزل في ظل عيش بهم رغد
وكان أحص القوم بي أبو الحكم^(٣) ، سيد من أخلصني وده وخير من
أخلصته ودي . ومشايخي حوالي يكون والمعتزلة يسخرون ويلعنون !

١. سورة الجن (٧٢) : ٤ - ٥ .

٢. سورة الانعام (٦) : ١٤٨ .

٣. يعني أبا جهل - عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، أشد الناس عداوة للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - والذي قتل في غزوة بدر (سنة ٢) .

الباب الرابع عشر

في المقامات والحكايات

اجتمعت وجماعة من مشايخنا من الجن في مجلس معتزلي من الجن عقد مجلساً في يوم عاشوراء ، فذكر الحسين وقتله وأبكى وبكى . ثم قال : لعن الله الامر والباعث والحاشر والمباشر والمزين والذاب . وارتفعت الضجة بآمين رب العالمين ! فقلت : من هؤلاء الذين لعنتم ؟ قال : أما الامر فيزيد اللعين ، وأما الباعث فابن زياد الخبيث ^١ ، وأما الحاشر الذي جمع الجنود وذهب به عمر بن سعد ^٢ ، وأما المباشر فشمس ^٣ ، وأما المزين فأنت وأتباعك من الشياطين ، وأما الذاب فالجبرة حيث ذبوا عن هؤلاء واعتذروا لهم وحملوا الذنب على الله تعالى . وأخذ يلعنني .

فقال أصحابنا : أنتظرون وهذا الخبيث يواجه شيخكم بمثل هذا الكلام واللعن ؟ أما فيكم ذاب ؟ أما فيكم دافع ؟ فقام واحد من مجبرة الجن وقال :

١. هو عبيد الله بن زياد بن أبيه ، أمير البصرة في عهد معاوية ويزيد ، وهو الذي سير الجيش لقتال سيدنا الحسين - عليه السلام - . قتل في من قتل من قتله الحسين سنة ٦٧ .

٢. هو عمر بن سعد بن أبي وقاص ، أمير الجيش الذي قاتل سيدنا الحسين - عليه السلام - . قتل في سنة ٦٦ .

٣. هو شمر بن ذي الجوشن الضبابي الكلابي ، قاتل سيدنا الحسين - عليه السلام - . قتل في سنة ٦٦ .

كذبت يا بن الفاعلة ! أنت وأصحابك من المعتزلة ، لا ذنب لواحد من هذه
الفئة ، أليس خلق الله الامر في يزيد والبعثة في ابن زياد والحشر في ابن سعد
والقتل في شمر والتزير في الشيطان والذب عنهم في هؤلاء المشايخ ؟

فقال المعتزلي : كذبت أنت على الله والله منه بريء ، والذنب لهؤلاء
الملاعين لا لرب العالمين ! فكان يقول هذا له : كذبت ! ويقول هو لهذا :
كذبت ! فقال المعتزلي : هب أنا كذبتنا ، فالكذب على ابن زياد خير من الكذب
على رب العباد . فقلت : ما حملك يا معتزلي على ما واجهتني به ؟ فقال : قوله
تعالى : « ان الذين يكفون ما أنزلنا من البينات والهدى »
- الآية (١) ، وقوله : « واذا أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب لنبيئته
للناس ولا تكفتمونه » (٢) . وارتفعت الضجة ، وأنشأ يقول :

سيعلمون اذا الميزان بينهم أهم جنوها أم الرحمن جانيتها^٣

وكثر المقال ، وأدى ذلك الى القتال ، وتفرقنا ونحن على سوء حال !

حكاية - عقد شيخ من مشايخ المجبرة من الجن مجلساً وحضرته ، فقرأ
قارىء : « وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون » (٤) ، وقال قاص :
المعني بهذه الآية هم المعتزلة ، لانهم آمنوا بالله ثم اشر كوا حيث جعلوا للعباد
فعلا كما أثبتوا له فعلا ، وأثبتوا لهم ارادة كما أثبتوا له ارادة . فقام معتزلي من
غمار الناس فقال : كذبت ! بل المعني بذلك المجبرة القدرية الذين كذبوا على

١ . سورة البقرة (٢) : ١٥٩ .

٢ . سورة آل عمران (٣) : ١٨٧ .

٣ . البيت لعمر بن فائد المعتزلي ، الماضي ذكره ، على مافي المنية والامل لابن

المرتضى : ١٥٩ (بيروت - ١٩٧٩) ، وفيه وفي غيره من المصادر (كمتشابه

القرآن لابن شهر آشوب : ١٢٠) : « اذا الميزان شال بهم » .

الله ووصفوه بما لا يليق به وأشر كوا معه في صفاته ونقضوا جملة ما أقرؤا . قلت له : ولم قلت ذلك ؟ بين دعواك ببرهان . فالتفت اليّ وقال : نعم ! من وجوه جمّة وضروب كثيرة ، فانهم ما أقرؤا بجملة الا ونقضوه بالتفصيل ، وما اعترفوا بأمر الا أبطلوه عند التحصيل ، فخذ اليك مسألة مسألة :

أولاً قالوا : انه واحد ، ثم أثببوا معه قدماء أشر كوا هم معه في القدم ، فنقضوا الاول والتحقوا بالثنوية .

وقالوا : ليس له مثل وشبهه ، ثم قالوا له وجه ويد وجنب وساق ، فنقضوا ما أسسوا .

وقالوا : لا يشبهه شيء وليس له كيف ، ثم قالوا يرى كما يرى المحدثات ، ورووا انه يرى كما يرى القمر ليلة البدر ، وهل تشبيهه أعظم من هذا ؟

وقالوا : انه صادق ، ثم قالوا كل كذب منه وانه يجوز أن يخلف وعيده .

وقالوا : انه حكيم ، ثم قالوا كل سفه وقبيح فمن قبله ومن خلقه وارانته وقضائه وقدره .

وقالوا : انه عدل ، ثم قالوا يعذب من غير ذنب وبأخذ واحداً بذنب آخر بل يخلق للنار ويعذب من غير جرم ويعذب على ما خلقه فيهم وأراده منهم .

وقالوا : الطاعة واجبة والمعصية حرام ، ثم قالوا لاجزاء على واحد منهما .

وقالوا : الوعد والوعيد حق ، ثم قالوا يجوز أن يعذب البررة ويثيب الفجرة ويدخل الانبياء النار والفراغة دار القرار .

وقالوا : الانبياء حجج الله ورسله ، ثم قالوا يجوز عليهم الكذب والكبائر .

فما أتوا جملة الانقضوها ولا كلمة الا أبطلوها . ثم قالوا : الفعل خلق الله وكسب للعبد ، ولا يصح حصول الكسب الا بخلق الله ولا خلق لله الا بكسب

العبد ، وهذا عين الشرك كما لكن لا يمكن لاحدهما التصرف الا مع الآخر
ووصيين ووكيلين .

فأما نحن نقول : انه تعالى القادر على ما لا يتناهى من المقدورات ، فاذا
أقدر عبده على شيء قدر والا فلا ، فمثلنا معه كمثل ملك وسائس ان أعطاه شيئاً
أخذه والا فلا ، فهل يقال انه شريكه في ملكه بذلك ؟ ثم ما قررنا أصلاً الا
وافقناه بين جملة وتفصيله ، ما نقض كلامنا بعضه ولأبطل بعض أصولنا بعضها .
فنحن المؤمنون حقاً وأنتم كما قال الله : « وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ وَهُمْ
مُشْرِكُونَ »^(١) . فما أجاب أحد جواباً .

حكاية - جرى يوماً حديث البدر، فقلت: أنا شاهدتها وحضرتها مع الملا
من قريش أشجعهم وأمنهم وأنصرهم بجنودي من الشياطين ، فلما رأيت
الملائكة تنزل من السماء علمت أن لاطاقة لنا ، فهربت وأنشدت :

وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبتت نفضت بها يدي^(٢)

فقال بعض المعتزلة : فيك نزل : « وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
- الى قوله - نَكَصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ »^(٣) . لاجرم فيك ومن اتبعك نزل :
« فَكَانَ عَاقِبَتُهُمْ مَا أَنَّهُمْ فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا »^(٤) . وجرت بين
المعتزلة والمجبرة مناظرات كنتم ذاببن عني ، فشكرت لكم ذلك .

١. سورة يوسف (١٢) : ١٠٦ .

٢. البيت لحيان بن الحكم الفرار السلمى فى الحماسة لابي تمام ١ : ١١٠ (من
طبعة الرياض - ١٤٠٢) ، والعقد الفريد ١ : ١٣٩ ، والحيوان ٥ : ١٨٥ ،

وعيون الأخبار ١ : ١٦٤ وغيرها .

٣. سورة الانفال (٨) : ٤٨ .

٤. سورة الحشر (٥٩) : ١٧ .

ثم جرى حديث أحد فقلت : حضرتها مع شيخنا أبي سفيان وامرأته هند وابنه معاوية وجماعة جنوده، وكنت أفعل الأفاعيل حتى جرى ما جرى وناديت: قتل محمد حتى انهزم الناس . فلما أمد بالملائكة وتراجع الناس صعدت مع شيخنا أبي سفيان الجبل وصحنا : أعل هبل يوم بيوم بدر ، فقام عمر وقال : بعداً لكم الله أعلى وأجل ولاسواء ، قتلانا في الجنة وقتلاككم في النار . وقصدني وعلمت أنني لاطاقة لي بعمر فهربت ، وكنت لأفر من أحد فراري من عمر ، وأنشد :

ولقد أجمع رجلى بها حذر الموت واني لفرور^(١)

حكاية - اجتمعت في ناد مع جماعة من الجن ، فقال بعض مجبرة الجن: أستغفر الله من ذنوبي ! فقال معتزلي من الجن : تستغفر من ذنب جنيته أو ذنب لم تجنه؟ وأي فرق بينك [وبين من] قال : أستغفر الله من سواي وبياضي ، وهما عندك جميعاً من خلقه؟ فانقطع .

فقرأ قارىء : « انَّ عِبَادِي اَيْسَ اَتِكَ عَالِيَهُمْ سُلْطَانٌ »^(٢) . فقلت: من هذا الذي لاسلطان لي عليه؟ فقال: من لا يتبعك ولا يلتفت الى كلامك ولا يوافقك في عقيدتك ، بل يلعنك ويعاديك ويلعن أتباعك وأشياحك ، وينزه الله ويقول بالتوحيد والعدل . قلت : من أنت؟ قال ، أنا العدلي الموحد لربه المعترف على نفسه بذنبه . ثم أنشد :

قال فما اخترت من دين تفوز به

فقلت اني شيعي ومعتزلي^(٣)

١. البيت لعمر بن معد يكرب ، وهو في ديوانه المطبوع : ١٠٢ .

٢. سورة الحجر (١٥) : ٤٢ .

٣. البيت للصحاح بن عباد ، وهو في ديوانه : ٣٩ .

وأنشد :

إذا بعثت لقيت الله مبتهلاً

معي إمامان من عدل وتوحيد

هذان أصلان ضل الناس بينهما

إلا المجرد فيه أي تجريد^(١)

وجرى ذكر السجود لادم ، فأخذ المعتزلة يلعنونني ويسبونني . قلت : أما من ذاب ؟ فقالت المجبرة : إلى متى هذا اللوم ؟ أو خلي الشيخ اسجد واكن منع . فقال معتزلي : تبأ لكم ، أتذبون عن الشيطان وتكذبون على الرحمن ؟ وارتفعت الاصوات وكثرت المباهلة بين الفريقين وتفرقوا ، والمعتزلي ينشد :

الله يعلم أنني لأحبكم ولا نلومكم أن لانحبونا

فقلت لمشايخنا : أنتم أصدقائي حقاً ، لولاكم لذهب أمري هدرأ !

حكاية - قلت لأصحابي من مجبرة الجن : لاطاقة لنا بهؤلاء المعتزلة ، فالصواب ما فعله قريش بمحمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وأصحابه في حصار الشعب ، فبايعنا أن لانكلمهم ولاندخل عليهم ولانبايعهم وتحالفنا على ذلك . وقام معتزلي فقال : أرأيتم لو خلق فيكم كلامنا والدخول علينا ومبايعتنا

١. يشبه شعر صاحب وليس في ديوانه ، كما ليس فيه الايات الثلاثة التي رواها له ابن فندق في كتابه تاريخ يهق : ١٣٥ في مدح آل محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ، ولا الايات الاربعة التي رواها له المافروخي (ترجمة محاسن اصفهان للاوى : ١٤ ، والايات ساقطة من الاصل العربي طبعة طهران - ١٩٣٣) في مدح اصفهان ، ولا الايات الكثيرة التي رواها له ابن شهر آشوب في كتابه متشابه القرآن : ٦١ ، ٩٣ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٤٢ ، ١٤٦ و ١٦٧ في دعم أصول العدلية ورد المجبرة .

ومخالطتنا أتقدرون على الامتناع ؟ فقلت لأصحابي : اسكتوا ولا تجيبوهم
تفتضحوا ! فقام يجرد رداءه وينشد :

وما بقياً علي تركتmani ولكن خفتما صرد النبالي^(١)

حكاية - وقعت مسألة ، وهي أن واحداً حلف بأن ما يملكه من ماله صدقة وما
يملكه من عبده أحرار وما يملكه من نسائه طواق ، ثم ندم ، فسأل عنها فقهاء
المعتزلة فقالوا : مالك صدقة وعبيدك أحرار ونساؤك طواق . فقال شيخ من شيوخ
المجبرة : أخطأ الفتوى وما أصابك ، لست تملك شيئاً ، لانك ان قلت مع الله
فقد أشركت وان قلت من دونه كفرت . فقال المعتزلي : يا أحمق ! انما يملك
ما ملكه الله ولا يملك شيئاً من دون الله . وضع الناس وقالوا للجبري : أخطأت!
مالك والفتوى ؟ .

* * *

وروى بعضهم عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -- : لعن الله
المنفرين ورحم الله المكلفين . فقال بعضهم تفسيراً للخبر : المنفر من أيس من
رحمة الله ، والمكلف من لم يؤيس عباده من رحمته . فقام معتزلي وقال : نحن
المكلفون والمجبرة هم المنفرون ، لأننا نصف الله بكل رحمة ورأفة وثناء حسن
وهم يذكرونه بكل قبيح وبالظلم فينفرون عنه . وارتفعت الضجة وتفرقوا .
وقرأ قارى : « فسيروا الى الله »^(٢) ، فقال المعتزلي : على مذهبنا الفرار
اليه يجب وعلى مذهب المجبرة الفرار عنه يجب ، لان عندنا كل خير فمنه وكل

١. البيت لمنازل بن ربيعة ، اللعين المنقرى كما فى الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٤٩٩

(بتحقيق احمد محمد شاكر ، القاهرة - ١٩٦٦) ولسان العرب ٤ : ٢٣٦ .

٢. سورة الذاريات (٥١) : ٥٠ .

شر فهو منه بريء ، وعند المجبرة كل شر فى العالم فمن جهته فيجب الفرار عنه . فغضبت المجبرة وقالوا : الى كم هذا الازراء ؟ اما أن تجيئوه واما أن تخرجوه ! فقام المعتزلي وقال : تعالوا ننتصف ! أصف مذهبي ومذهبكم حتى يتبين أيننا على النحق . ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وأهل بيته وأصحابه ، ثم ذكّرهم نعم الله تعالى على عباده دنياً ودينياً وحثهم على شكره ووعظهم وذكّرهم ماضى من المثلات وما أوعد به ووعد .

ثم قال : أيها الناس ! ان المجبرة حزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهود الزور ، وأن العديلة حزب الله وأتباع رسول الله وحفاظ دين الله والذابون عن حريم الله ، فان المجبره تزعم أن كل فساد فى العالم فمن الله وكل شر فمن خلقه وقضائه واراذه ومشيته ، فالتحرز والفرار منه يجب لان الشر منه ، والعديلة تقول كل خير ورحمة فمنه فيجب الفرار ليه .

وتفصيل هذه الجملة أنهم قالوا : خلق الكفر فى الكافر ثم أمر بقتله ، ولولا خلقه لما كان فى العالم كفر ، واذا كان ذلك خلقه فما معنى المحاربة والسلاح ؟ أيريد أحد ابطال خلقه أم القتال معه فى جعله ؟ ثم اسم يدع مع هذا أن خلق فيهم الكفر ، ثم أمر بسبيهم وقتلهم ، ثم أوعدهم عذاب النار خالداً مخلداً . فيحتجون للكفار والفجار ويحملون الذنب على الملك الجبار ونحن نقول : هم القاعلون وهم المذنبون ، واستحقوا نكال الدنيا وعقاب الاخرى بسوء افعالهم ومقالمهم .

وقالوا : هو الذى يجيء بالزاني الى دار المزنى بها ويخلق فيهما الزنا ، ولولا خلقه لما كان فى الدنيا زنا ، فما بال الحيطان والحراس يتحرس من خلقه وقضائه ؟ وما معنى النهي والجلد ؟ أيقدر على الامتناع من حكمه وفعله ؟ وكيف يخلق الزنا ثم يأمر برجمه ويوعد بالعذاب الابد على فعله ؟

وقالوا : ثم جاء بالسارق الى دورهم ويخاق فيه تسنم قصورهم وأخذ أموالهم لا يقدر على الامتناع ، ولولا خلقه لما كان فى الدنيا سرقة ، ثم يأمر بقطعه . أهكذا فعل حكيم ؟

وقالوا: يخلق الغصب فى الغاصب ثم يأمر باسترداده منه ، ولولا خلقه لكان الاسترداد مستغنى عنه ، ثم أخذ فى لعنه لم كان ؟ ولو لاخلقه لما كان فى الدنيا غصب .

وقالوا : خلق فيه أخذ مال الغير وخلق فيه اليمين الغموس ، ثم أوعده بأن يدع الديار بلاعق وأنها من الكبائر ، ولولا خلقه لما كان فى العالم يمين غموس .

وقالوا : يخلق القتل فى القاتل ثم يأمر بالقصاص ، ولولا خلقه لما كان فى العالم قتل ولا احتيج الى القصاص .

وقالوا : خلق الكفر فى الكافر والشرك فى المشرك ثم أمر رسوله بأن يرده عنه ، ولولا خلقه لما كان شرك .

وقالوا: لا ضرر ولا ظلم ولا شر فى العالم الا وهو من خلقه وقضائه واراادته، فمن كان بهذه الصفة أليس يجب الهرب منه والاعراض عنه ؟

وقالوا : ليس للشيطان فى الوسوسة صنع ولا للعباد فى الذنوب فعل بل كله من خلقه ومن جهته ، فأى قوم أشد محاربة له منهم وأساء ثناء عليه منهم ؟ ثم ان هؤلاء المجبرة ان أقروا به باللسان وحمدوا ظاهراً فقلوبهم منطوية على بغضه ، لانهم اتهموه حيث قالوا : لا يأمن أحد شره وان عبده ألف سنة ، لعله للنار خلقه وللکفر فطره ويسلبه فى آخر عمره الايمان ويدخله النيران . فاذا قالوا لعن الله من سرق وزنى وظلم وعتا، فايها عنوا وعليه دعوا، لان عندهم أن ذلك كله منه وهو الذى أوجده ثم يحتجون للعصاة بأنهم من جهته أتوا ، ولو

قدروا لاطاعوا ، وأنهم للعصيان خلقوا ، وأي ذنب لابليس وهو منعه من السجود؟ وأي ذنب لفرعون وهو خلق فيه «أنا ربكم الأعلى» وكره أن يقول «سبحان ربي الأعلى»؟ وأي ذنب لنمرود وهو خلق فيه الكفر والعصيان؟ وأي مدح لابراهيم وهو خلق فيه الايمان؟ ثم كذبوا حيث جاؤوا يذكرونهم نعم الله وقالوا: لانعمة الله عليهم لانه خلقهم للكفر والنار .

وكذبوا الرسل حيث دعوهم الى الايمان ونهوهم عن الكفران والقوم قالوا : قلوبنا غلف ولانقدر على ذلك ، والمجبرة تشهد لهم بالصدق ولاقوالهم بالحق رداً على رسول الله .

واحتجوا لابليس بما لا يحتج لنفسه ، فانه قال: لاتلوموني ولوموا أنفسكم حيث قبلتم مني ولم تقبلوا من خلقكم ، وهم يقولون : لاتلوموني ولاتلوموا أنفسكم ولكن لوموا خالقكم حيث خلق في ابلليس الوسوسة وخلق فيكم المعصية .

وقالوا : انه يعذب بغير ذنب ويعاقب بغير جريمة .

ثم أضافوا الى الرسل كل قبيح ووصفوهم بما لا يليق بهم ، تنفيراً المعقلاء عنهم وعن طريقتهم .

ثم دانوا ببغض أهل بيت نبيكم واعتقدوا موالاته أعدائهم .

ثم أبطلوا الرسل والكتب والامر بالمعروف ، بأن قالوا : لايجدي ذلك شيئاً ، ان كان من قبضة أهل النار فلا ينفعه شيء وان كان من قبضة أهل الجنة فلا ينفعه شيء . وقالوا للامر بالمعروف : أنتقضون ما خلق الله أم تدفعون ما قدر الله ؟ أتدعون الى شيء ليس اليهم من ذلك قليل ولا كثير ؟ فأى قوم أسوء ثناء على الله منهم ؟ ويقولون : الغوث مما فعل ربنا ونعوذ مما قضى فينا ونسأله البعد من مشيته لنا . فتباً لهم ! ضلوا وأضلوا .

فانظروا رحمكم الله الى هذه المذاهب الردية ثم انظروا الى مذاهب العدالة حيث قالوا : انه تعالى واحد لاشبه له ولا نظير له وانه هو الحي المتفرد فى ملكه المتوحد فى سلطانه القادر العالم لذاته لا يحتاج الى علة به يعلم ويقدر ، وانه السميع البصير [من غير حاجة] الى طبيعة بها تحبى ولاسمع ولابصر به يدرك . ويقولون : انه لا يرى ولا يسمع ، وليس له مكان ، ولا يجوز عليه صفات الاجسام . وانه عدل فى أفعاله صادق فى أقواله ، لا يفعل القبيح ولا يشاؤه ولا يقضيه ، بل هو فعل العباد وانهم أحدثوه . وانه كلفهم رحمة منه فمن أطاعه أثابه ومن عصاه عاقبه ، لا يأخذ أحداً بذنب أحد ولا يعاقبه بغير جريمة ، وأعطى المقدره وأزاح العلة ، فمن عصاه فمن قبل نفسه أتى ومن أطاعه فبدلته وتوفيقه وبهدايته اهتدى . وانه وعد وأوعد ووفى بكل ذلك ، لا يجوز عليه الخلف ، ما يبدل القول لديه وما هو بظلام للعبيد^(١) . وانه بعث الانبياء حجة على خلقه ونزههم عما لا يليق بهم من مخالفته ، وأمر بالشرائع مصلحة لعباده وأقام الائمة تطهيراً لبلادهم . « فله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائهم سيجزون بما كانوا يعملون »^(٢) . ووصفوه بما وصف به نفسه من الرأفة والرحمة ، ونزهوه عما نزه نفسه عنه من القبائح ، وحببوه الى خلقه بذكر نعمه ، وشكروه على ما أسدى اليه من كرمه . فتوازروا فى دين الله ، وتحابوا فى أمر الله ، وذروا هؤلاء المجبرة فانهم اعداء الله وأعداء رسول الله ، ونزل . فتفرق الناس وهم يلعنون المجبرة .

وسأل عدلي مجبراً : أليس بعث الله يحيى الى قومه ؟ قال : نعم . قال : أليس خلق فتكه فيهم ؟ قال : نعم . قال : فهل هذا فعل حكيم ؟ قال : لا .

١ . مأخوذ من قوله تعالى فى سورة ق (٥٠) : « ٢٩ » ما يبدل القول لدى وما أنا

بظلام للعبيد » .

٢ . سورة الاعراف (٧) : ١٨٠ .

قال : فلم تقول به ؟ قال : دين الابهاء .

وسأل آخر : أليس جعل الله الماء رزقاً للعباد ؟ قال : نعم . قال : أفعاقيهم بأخذه ؟ قال : لا . قال : أليس جعل الغصب رزقاً للغاصب ؟ قال : بلى . قال : أفعاقيه عليه ؟ قال : نعم . قال : ولم وقد استويا ؟

ومات مجبر وكان ناسكاً بالبصرة ، فرثي في المنام وقيل له : ما فعل ربك بك ؟ فقال : لا ينفع مع هذا القول عمل .

وحكي عن المبرد^(١) قال : كان جيراننا كلهم جبرية غير رجلين يقولان بالعدل ، فسافر أحدهما ومرض الآخر فعدناه ، فقال : رأيت النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في المنام ، وكان صاحبي الغائب معي ، فأخذ النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - بيدي ويده ، ثم قال : فأخـرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين^(٢) . فقلنا خيراً رأيت . فمات من يومه ، وصح عندنا أن صاحبه الغائب مات في ذلك اليوم .

وقال مجبر لعدلي : جئت اليوم دارك فلم أجدك في الدار . قال : أنت جئت أم الله جاء بك ؟ قال : بلى جاء بي . قال : أو علم أنني لست في الدار ؟ قال : نعم . قال : فإذا سخر بك !

١. هو أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي الأزدي ، امام العربية في زمانه وأحد

أئمة الادب والاعخبار . ولد بالبصرة ومات ببغداد سنة ٢٨٦ .

٢. سورة المذاريات (٥١) : ٣٦ .

الباب الخامس عشر

في ذكر المذاهب

حضرت مجلساً حضره جماعة من المعتزلة والمجبرة وجرى ذكر المذاهب.
فقال رجل من المعتزلة : كل مذهب سوى مذهب أهل العدل ، مضمحل وكل
كلام سوى كلامهم فهو داحض . فرمقوه بأبصارهم وقالوا : ام قلت ؟ قال :
التحل على ضربين : قوم خارج الاسلام كالدهريسة والثنوية وعباد الاوثان
والصابئين واليهود والنصارى ، فهم خارجون عن الملة مبائنون للنحلة ، أجمعوا
على تكفيرهم ونطق الكتاب والسنة بتضليلهم . والفرقة الثانية الممتحلون
للالسلام الذابون عنه وهم فرق الخوارج والنجارية والاشعرية والكرامية والرافضة ،
وهم أهل البدع . لم يبق الا واحد وهم المعتزلة أصل الحق والدين . ولهذا
قال النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : ستفترق أمتي بضعاً وسبعين فرقة
أبرها وأتقاها الفئة المعتزلة ، وقال - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في الاولين
بعد أن ذكر أهل البدع : الراد عليهم كالشاهر سيفه في سبيل الله . فنحن القائمون
بدين الله ، الذابون عن حريم الله ، الحافظون لحدود الله ، المجاهدون في
سبيل الله ، الناصرون لاهل بيت رسول الله ، الخارجون مع من خرج من
أولاد رسول الله ، الرادون على من كذب على الله وعلى رسوله - صلى الله
عليه وعلى آله وسلم - وأصحابه . أما علمت مشايخنا كيف قاموا المواقف

وكيف ردوا على أهل الأهواء والضلال . فرحم الله سلفهم وخلفهم وأحقهم
بنيهم - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - .

فقلت : يامعشر الاصحاب ! أما من راد ؟

فقام شيخ وقال : لم أبطلت هذه المذاهب حتى صححت مذهبك وأطريت
طريقك ؟ فقال: أبين مذهباً مذهباً وماهم فيه من الطرائق الردية والاقوال السيئة :
أما النجارية فان رئيسهم الحسين النجار ، وكان غرضه التلبيس والتدليس
ولم يكن يرجع الى دين . فحدث أبو العباس بن محمد الهاشمي قال : كان النجار
حائكاً في جوار بيت لنا . وقال أيضاً : قلت للنجار ويحك ! انك قلت في
الاستطاعة مقالة لا يقبلها العقل ، فقال : اني لأعرف صحة هذه المقالة ولافساد
قولكم ولكنني في قولي هذا رأس ومتى صرت الى قولكم صرت ذنباً فلا أفعل .
فانظروا كيف اختار الدنيا على الآخرة . ومن قول النجار : ان معنى قولنا «عالم»
أنه ليس بجاهل فقط ، ومعنى قولنا « قادر » أنه ليس بعاجز ، ومعنى قولنا «حي»
أنه ليس بميت ، وليس هناك صفات . وهذا خروج من التوحيد . ومن جهله
أنه قال : القرآن مكتوباً جسم وملوأ عرض ، وعنده يجوز بقاء الجسم ولايجوز
بقاء العرض ، فيلزمه أن يكون القرآن باقياً وغير باق . وقال : الجسم أعراض
مجتمعة . ويقول : ان الله في كل مكان بذاته لا بمعنى الحلول والمجاورة ، وهذا
غير معقول . ويقول : انه قادر لذاته عالم لذاته يريد ذاته . ثم يقول : ما يصح
أن يعلم يجب أن يعلم وما يصح أن يكون يجب أن يقدر عليه ، ثم لايقول
ما يصح أن يكون مراداً يجب أن يريده ، فقد ناقض . ويقول : الكافر يصح منه
الايمان في حال الكفر ، وهذا تجويز لاجتماع الضدين . ويقول : قدرة الايمان
تضاد قدرة الكفر ، فيستحيل من الكافر الايمان لوجود قدرة الكفر ، فقد ألزم
الله المحال . ويقول : النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - والمؤمنون

لا يستحقون الثواب دائماً والكفار لا يستحقون العقاب دائماً . وهذا خلاف
الاجماع والقرآن . وقال من هذا الجنس من المحاللات ما يطول به الكتاب .
ومن كلامه الذي لا يعقل القول بالبدل وأن قطب الرحي يتحرك ولا ينتقل .

وأما الاشعرية والكلابية فأكثر كلامهم غير معقول . قالوا : عالم بعلم قادر
بقدره لاهو ولاغيره ولابعضه . وقالوا : هو مستو على العرش بمعنى صفة له
تسمى الاستواء . وقالوا : المسموع ليس بكلامه وانما هو صفة تقوم بالذات .
وقالوا : يرى الله لافي جهة ولافي كيف . وقالوا : فعل العبد خلق الله كسب له .
فاذا سئلوا لسم يأتوا بمعقول ، وانما فعلوا ذلك لان غرضهم كان هدم الدين .
ومن قولهم أن مع الله قدماء تسعة ، وما أطلق أحد قبلهم ذلك .

ولقي بعض النصارى بعض الاشعرية فقال : مرحباً يا اخواننا ! نحن نقول
ثالث ثلاثة وانتم تقولون تاسع تسعة !

وحكى أبو العباس البصري^(١) قال : دخلنا على نينون^(٢) النصراني فسأته
عن ابن كلاب ، قال : رحمه الله ، كان يجيء ويجلس الي تلك الزاوية - وأشار
الي زاوية من البيعة - وعني أخذ هذا القول ، ولو عاش لنصرنا المسلمين .
ولما بعث عضد الدولة^(٣) الباقلاني^(٤) الي الروم رسولا ...^(٥) اياك ولك

١. في الفهرست لابن النديم : ١٨٠ (من طبعة فلوجل) : البغوى ، والقصة مذكورة
في هذا المصدر .

٢. في الفهرست لابن النديم : فثيون .

٣. هو فنا خسرو بن ركن الدولة حسن بن بويه الديلمي ، كبير الملوك البويهيين ،
مات في سنة ٣٧٢ .

٤. هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب البصرى ، من كبار المتكلمين . اليه انتهت
الرياسة في مذهب الاشاعرة . توفي سنة ٤٠٣ .

٥. هنا سقط في الاصل .

مذهبك فانهم يلزمونك مذهبهم .

وقال: انه مسموع يدرك بسائر الحواس ، وانه أسمع نفسه موسى ، والكلاية أنكروا ذلك عليه . وزعم أن كلامه شيء واحد قائم بذاته لا يسمع ولا يدرك ، وأن القرآن والتوراة والانجيل ليست بكلام الله ، وأن هذه الايات والسور مخلوقة. وزعم أنه تعالى يرضى بالكفر ويحبه. وزعم أنه كلف عباده ما لا يطيقون ، ولو كلف العاجز لجاز ، ولو كلف المحال والجمع بين الضدين لجاز . وزعم أنه لو عاقب الانبياء والابرار وأتاب الفراعنة والكفار لحسن عنه . وجوز على الله تعالى الالغاز والتعمية ليضل عن الدين . وزعم أنه لانعمة الله على الكفار لانه خلقهم النار، ورد بذلك نص القرآن في قوله تعالى: «يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا»^(١). وزعم أن القبيح يقبح للنهي والحسن يحسن للامر، فيلزمه أن لا يحسن من الله شيء . وزعم أن أفعاله لا تكون لغرض . وزعم أن ما باين محل القدرة فعله تعالى ليس بكسب للعبد . وزعم أن الثواب والعقاب ليس بجزاء ، ولكن من شاء أثابه ومن شاء عاقبه . وزعم أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله - ليس بنبي بعد موته . ولقد قيل : أربح لا يعقل: طبع الطبايعية، وكسب الاشعرية ، وصفات الكلاية ، وبدل النجارية^(٢) .

وحدثني من أتق به أنه كان يصلي بغير طهور ، وأنه مر بمسجد والناس يصلون العصر ، فقلت : متى نصلي ؟ فقال : ان كنت تريد صحبتنا فدعنا عن هذه الترهات ! وباع ذرهما بدرهمين وشيء مكسورة فقيل له : هذا ربا ، فقال : كن خفيف الروح ! .

١ سورة النحل (١٦) : ٨٣ .

٢ في الفصول المختارة للشيخ المفيد ٢ : ١١٥ ثلاثة أشياء لاتعقل اتحاد النصرانية وكسب النجارية وأحوال البهشية .

ولقد أقر بالاسلام ولكن شرع في ابطاله فصلاً فصلاً . ووافق جماعة من الكفار في أقوالهم . ووافق جماعة من المجوس في أن من قدر على الخير لا يقدر على الشر ومن قدر على الشر لم يقدر على الخير . ووافق اليهود بأن النبي ليس بنبي في قبره ، وأن النسخ لا يجوز لان الكلام شيء واحد فكيف يجوز النسخ فيه . ووافق النصارى في أقوالهم ثالث ثلاثة أقانيم جوهر واحد وقد قال هـ -و ثلاثة أشياء شيء واحد . ووافق الملحدة بأن ما يفعله المسلمون لاجزاء لهم عليه . وخالفه المعتزلي في ذلك ولزموا الطريقة المستقيمة .

وأما الكرامية فحماقاتهم أكثر من أن تحصى ، وكان رئيسهم ابن كرام جاهلاً وأصحابه جهلة . وزعموا أنه تعالى جسم . وقالوا : لا يتناهى من خمس جهاته ، ويتناهى من جهة العرش . وقالوا : انه نور مشرق ، فوافقوا المانوية والديسانية^(١) في ذلك . وقالوا : انه محل للحوادث فلا يحدث في العالم حدث الا ويحدث قبله في ذاته شيء . وقالوا : كان الله في ما لم يزل خالقاً رازقاً بخالقوقيته ورازقوقيته ، وانه كان فاعلاً لم يزل مثيباً معاقباً مرسللاً^(٢) للأنبياء . وزعموا أنه تعالى لم يقدر على خلق العالم قبل وجوده . وقالوا : لله علم وقدرة وحياة وسمع وبصر ، وكل اسم له معنى فهو معنى غير قديم وهي أعراض قديمة .

وذهب بعضهم الى أن له يدَيْن لا يوصفان بجسم ولا عرض ، وقائله يعرف بالمازلي .

وذكر ابن كرام في كتاب عذاب القبر أنه تعالى جوهر ، وقال : أحدي الذات وأحدي الجوهر ، فخالف الامة بذلك . وجوز أن يكون لله كيفية ، وذكر كيفية الرب ، وهذا يدل على جهله .

١. فرقة من الثنوية أثبتوا للعالم أصليين نوراً وظلاماً ، لكن النور عندهم يفعل الخير قصداً واختياراً والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراً .

وذكر في كتابه الملقب بالتوحيد « ان سألك انسان عن طوله فقل ذى الطول لا اله الا هو »^(١) ! فلم يعرف الفرق بين الطول والطول . واستدل على أن له حداً بقوله : « قل هو الله أحد »^(٢) فقدّر أن « أحد » مأخوذ من الحد . والعجب اتباع رجل بلغ هذا المبلغ في الجهل .

وكان فيهم رجل يعرف بالشورميني ، نقض على أهل النحو قولهم : المبتداء رفع ، وقال ليس كذلك والله يقول : « وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا »^(٣) ونقض على أصحاب الحساب وقال : يقولون ثلاثة ثلاثة تسعة ، أخطأوا فثلاثة قلانس في ثلاثة قلانس ستة ! .

وكان فيهم رجل يعرف بابن المهاجر ، قال : الاسم هو المسمى ، وكان يقول : الله عرض ، وكان يقول : انه ليس بقادر والقادر ليس بحي والعالم ليس بقادر ، وكان يثبت قدما بعضها اله وبعضها حي وبعضها قادر وبعضها عالم .

وكلهم قالوا : الله مماس العرش . وقالوا : هوفي ما يزل مرید بارادة حادثة لامحدثة . وقالوا : القرآن ليس بكلام الله وانما هو قوله حادث فيه وليس بمحدث ، ويفصلون بين الحادث والمحدث . ويقولون : الكلام قدرة على التكليم والتكلم . وقالوا : أحد لم يسمع كلام الله ، مع قوله تعالى : « حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ »^(٤) . وقالوا : ان كلامه حال في ذاته لم ينزل به جبريل - عليه السلام - . وقالوا : لا يجوز أن يعدم عن ذاته شيء ويجوز أن يحدث في ذاته أشياء . وقالوا : الاعراض كلها تبقى . ولهم فسي مذاهبهم أسرار شبيهة

١ . سورة غافر (٤٠) : ٣ .

٢ . سورة الاخلاص (١١٢) : ١ .

٣ . سورة الشمس (٩١) : ١ .

٤ . سورة التوبة (٩) : ٦ .

أسرار القرامطة لا يظهرون ، منها أنهم جتوزوا أن يخرج من النار .
وكان فيهم رجل يقال له أبو يعقوب الجرجاني يقول : لله تعالى يدان هما
جسمان وله وجه وجنب وساق وكل ذلك جسم . ومنهم من قال : الله أجسام ،
فقدماه جسمان ووجهه جسم .

وقالوا : يجوز الكبائر والكذب على الانبياء . وقالوا : يجوز ظهور المعجز
على غير الانبياء .

وكان يقول بعضهم : الترك لامعنى له ، فالله تعالى لا يعاقب على قبيح وترك
واجب ، وان كان يثيب على فعل الطاعات . وكان يقول : من استأجر أجييراً
ليفعل شيئاً فلم يفعل لا يعاقب ولكن يسقط الاجر ، وهذا ابطال للعقاب أصلاً ،
ويعرف هذا القائل بأبي جعفر .

وذكر ابن كرام بأنه تعالى ثقيل ، وفسر قوله : « إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ »^(١)
قال : من ثقل الرحمن .

وأثبتوا حوادث لامحدث لها ، لان عندهم الاحداث لامحدث لها . وهم
أشد الناس بغضاً لامير المؤمنين ، ويحبون معاوية ويقولون بامامته ، ولا تجد قوماً
أشد بغضاً لاهل البيت منهم . وما يوردونها من الشبه أخذوها من كتب سائر
الفرق ، خصوصاً من كتب ابن الراوندي^(٢) ، فانهم يحرصون على جمع كتبه
غاية الحرص ، وذلك يدل على قلة دينهم . ويقولون : المنافق مؤمن ، وان
ايمانه كايمان جبريل وميكائيل ، فخالفوا القرآن والسنة والاجماع . وقالوا :
عبادة الاصنام ليست بكفر وانما الكفر الجحود والانكار . وقد وافقوا أصناف

١. سورة الانشقاق (٨٤) : ١ .

٢. هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي ، من المتكلمين ، كان من
المعتزلة فخالفهم . نسب الى الاحاد . مات في سنة ٢٩٨ .

الكفار في مذاهبهم، ووافقوا النصارى في أنه تعالى جوهر، ووافقوا مانى الثنوي في أنه نور، وزادوا على مانى فانهم قالوا : هو محل الحوادث، ووافقوا الدهرية في اثبات أعراض قديمة ، ووافقوا مشركي قريش العرب أن ما يسمع ويتلى ليس بكلام الله ، ووافقوا الكفار في جواز الكذب على الانبياء . وحمقاتهم لاتسع كتابنا فمن أراد الوقوف فليقرأ كتاب شيخنا أبى رشيد فيهم .
وأما الخارجية فقد علمتم أن رسول الله حكم بمروقتهم ، وأنهم في مذاهبهم خالفوا المسلمين وخرجوا على أمير المؤمنين وكفروا جماعة المؤمنين وسفكوا دماءهم وهدموا حرمتهم .

وأما الرافضة فطعنوا في أصحاب رسول الله وكفروهم ، وجوزوا في الدين الكتمان وفي القرآن الزيادة والنقصان ، وأبطلوا أكثر الحجج وحصلوا على سراب ببيعة يحسبها الظمان - الآية ،^(١) فهم يدعون الناس الى اتباع أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وهم منهم براء . وقد علمتم ما روي في بابهم عن رسول الله : ان مرضوا فلا تعاودوهم فان مذاهبهم يؤذي الى هدم الدين .

وإذا بان لك ما ذكرنا علمت أن الحق بقي فينا معاصر العديلة ، نوحده الله ولانشبهه ولانضيف اليه القبايح، بل ننزهه ونحكم بعصمة الانبياء والمرسلين ، ونجعل العمدة اتباع الشريعة ، ونجمع بين محبة الصحابة وأهل البيت . فنحن القادة ونحن السادة وسلفنا الصحابة والتابعون وخلفنا الائمة المهتدون ، والحمد لله رب العالمين .

فما كان من مشايخنا من يجيبهم أو يورد عليهم .

١ . سورة النور (٢٤) : ٣٩ .

الباب السادس عشر

في القتال

اعلموا اخواني وساداتي انه لما جرى بيننا مناظرات وجمعنا وايامهم مقامات ،
عجزنا عن المقال ودبرنا عليهم بالقتال ، وقلت لمشايخي من مجبرة الجن :
لقد أدركت ما لم تدر كوه وشاهدت ما لم تشاهدوه . ولقد شهدت مقاتلة الملائكة
مع الجن حتى أسرت ولبثت فيهم ما لبثت ، حتى خلق آدم [فأمرت] بالسجود
فأبيت ، وأخرجت من الجنة الى الارض فهبطت ، وبينني وبين آدم وذريته من
العداوة ما علمتم ومن أمري وأمرهم ما رويتم . ثم شهدت قتل هابيل وأنا أحرص
قابيل على قتله، وشهدت نوحاً وأنا أمني ابنه ، وشهدت عاداً فدعوتهم فأجابوني
وخالفوا رسولهم هوداً ووافقوني ، وشهدت [ثموداً] فاتبعوني ونمرود وأشباعه
فقبلوا مني وأنا لقتنهم : أقتلوا إبراهيم وحرقوه ، وشهدت فرعون اذ جاءه موسى
والعصا ، وكنت مع السحرة اذ جاؤوا بالسحر حتى آمنوا بموسى ، وكنت
مع اليهود اذ هموا بقتل عيسى ومع قوم زكريا اذ قتلوا يحيى ، وكنت القائل
لاخوة يوسف : « اَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ
أَبِيكُمْ »^(١) . وكنت مع مشركي قريش في مقاماتهم وأنديتهم الذين يدبرون
في أمر محمد -- صلى الله عليه وعلى آله وسلم -- فشهدت دار الندوة حيث دبرنا
في امره وأنا أحنهم على قتله ، وشهدت بداراً أحت الناس على قتاله ، وشهدت

١ . سورة يوسف (١٢) : ٩ .

أحد أحتى فعلنا ما فعلنا برجاله ، وشهدت مسيلمة أعينه على قتال أبي بكر وأمنيه حتى قال : أنا من جملة النبيين ، وشهدت قتل عمر وأنا أحت على قتله على يد الفجار ، وشهدت وأنا أحت الناس على قتل عثمان يوم الدار ، وشهدت صفين وأنا في عسكر معاوية أدبر معه في أمر علي وأزين له قتل عمار ، وجرى أمر النهروان وأنا بين أظهرهم وأحتهم على قتال علي - عليه السلام - ، وشهدت كربلاء مع عمر بن سعد ، وشهدت مقتل زيد وأنا في جملة هشام . ثم لم يكن موقف الأشهدتها ولاوقعة الاحضرتها . فخذوا عني ودعوا المقال وتأهبوا للقتال ! فسمعوا ، وبلغ الخبر معتزلة الجن فتأهبوا . فضممت الاطراف وجندت الجنود ، وكتبت الى أهل الوفاق في الافاق ، فأقبلت الاجناد كالجراد . فجاءني نواصب الشام ومشبهة آذربيجان ومجبرة اصفهان ومرجئة كرمان وخوارج سجستان وحنابلة هرا خراسان وقرامطة عمان ورافضة قم وقاشان ، وانضم اليهم الاتباع الغاؤون وجنود ابليس اجمعون .

واجتمعت المعتزلة عند رئيس لهم من جن نصيين ، وهو عندهم بمنزلة المهاجرين بقية من حضر رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ومنه أخذ دين الله ، فتابعوه وعلى السمع والطاعة بايعوه . وكتب الى الافاق يستنفرهم الى الحجاز والعراق يخبرهم ، فحضر زيدية اليمن والحجاز وعدلية الاهواز ومعتزلة خراسان وشيعة طبرستان .

وتوافقنا للقتال ، وسوينا الميمنة والميسرة والقلب ، ووقفت في القلب أرباط القلب في لجب الجيش ، وبين يدي راية سوداء وهي راية أبي سفيان تبركاً بشأنه . وسوا الصفوف وفيهم راية بيضاء راية علي ، تيمناً به وبأمره . وسوينا الصفوف وأشرعنا الرماح والسيوف . وهم مرة يتلون : « ان ينصر كُـم الله فـلا غالب لكُـم وان يخذلكُـم فـمَن ذا الذي ينصر كُـم مِن

بعده^١ ، ومرة : «فَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ»^٢ ،
ومرة : «فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ»^٣ و «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً
كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ»^٤ . وكبّروا تكبيرة بلغت القلوب الحناجر وكلت الاسنة
والخناجر وتزازت الاقدام ونكست الاعلام ، وكبّروا ثانية فانهمز الرجال
والفرسان ولحقوا بالاوردية والغيران ، لايلوي أولهم على آخرهم ولايقف
كبيرهم لصغيرهم .

وبقيت فريداً وحيداً ، أصبح بهم وأنادى : هاأنا ! الي الي ! ماهذا الفشل؟
لايبالون بسبالي ولايلفتون الي مقالي . فلما لم يبق معي راجل ولافارس ولا
رامح ولاتارس ، هربت اذهربوا وذهبت حيث ذهبوا . والقوم خلفنا يركضون
ويتلون : «فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ»^٥ ، ومرة يتلون : «وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
الْقِتَالَ»^٦ ، ومرة يقرؤون : «فَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ
وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ»^٧ . فنحن بين مقتول
ومأسور ومهزوم ومجروح ، لحقنا بالجبال ولزمننا القتال ، وكتبت أستنصركم
وأستنصركم . فبادروا اخواني وأغيثونا نكن يداً على دفعهم ومنعهم ، وان لم

١ . سورة آل عمران (٣) : ١٦٠ .

٢ . سورة التوبة (٩) : ٢٩ .

٣ . نفس السورة : ١٢ .

٤ . سورة البقرة (٢) : ٢٤٩ .

٥ . نفس السورة : ٢٥١ .

٦ . سورة الاحزاب (٣٣) : ٢٥ .

٧ . سورة التوبة (٩) : ١٤ .

تجيبوا فلا جبر بعد اليوم ولا تشبيه ، وأبيدت جنودي أجمعون . وكان ذلك أمر
عظيم وخطب جسيم . تم .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى أهل
بيته الأطهارين .

فهرست الاعلام

ابوالعاهية ٦٧
 ابوعثمان الجاحظ ٨٣
 ابوعلی الثنوی ٧٠
 ابوعلی الجبائی ١١٣
 ابوعلی الحافظ النيسابوری ٣٤
 ابوعمران ٤٣
 ابوعمرو بن الملا ٦١
 ابو العیناء ٤٣
 ابو القاسم الزجاجی ٣٤
 ابو مجالد - احمد بن الحسين البغدادی
 ٥٠
 ابو مجالد ٨٨
 ابو محمد المزنی ٥١
 ابو موسی المرداد ١١٣، ٧٩
 ابو هاشم الجبائی ١١٣
 ابو هاشم المجبر ٧٦
 ابو الهذیل العلاف ٤٥، ٤٦، ٥٠، ٥١
 ٦٩، ٧٠، ٧٧، ١١٣
 ابو يعقوب الجرجانی ١٣٤
 ابو يعقوب المجبر ٧٠
 احمد بن ابی دواد ٢٧

ابراهيم الخواص ٨٩
 ابراهيم النظام ٧٠، ٧٦، ١١٣
 ابن بالويه المجبر ٧٨
 ابن الراوندي ١٣٤
 ابن المهاجر ١٣٣
 ابو الاسود ٣٤
 ابو الاسود الدثلی ٦٩
 ابو الحسن الأشعری ٣٨، ٧٣، ١٠٨،
 ١١٤، ١٣٠، ١٣١
 ابورشيد ١٣٥
 ابو رملة المجبر ٧٨
 ابو شجاع ١١٣
 ابو شعيب ٧٨
 ابو عامر الانصاری ٤٣، ٦٩
 ابو العباس البصري ١٣٠
 ابو العباس الضریر ٦٩
 ابو العباس القلانسی ٣٦، ١١٤
 ابو العباس بن محمد الهاشمی ١٢٩
 ابو عبد الله الجدلای ٨٣
 ابو عبد الله الخنقی ٧٠
 ابو عبد الله الموسوس ٦٠

صاحب بن عباد ٢٨، ٥٩، ٧٤، ١٠٤ ،
١٢١، ١٢٠
صقر المجير ٦٨، ٧٦
ضرار بن عمرو ١١٤
عبد الجبار - القاضي ١١٣
عبد الله بن داود ٤٦، ٤٩، ١٠٩
عبد الله بن محمد بن كلاب ٣٦، ٧٣ ،
١١٤، ١٣٠، ١٣١
عبدان ٧٨
عروة بن محمد ٦٨
عضد الدولة البويهى ١٣٠
عمرو بن عبيد ٦١
عمرو بن فائد ٤٨
غيلان ٢٧، ٥٨، ١١٣
فضيل بن عياض ٦٧
قتادة ٣٥، ٧٢
المأمون ٢٧، ٦٦، ٦٧، ٧٠، ١١٣
المرد ١٢٧
محمد بن اسحاق بن خزيمة النيسابورى ٣١
محمد بن الاسود ٣٢
محمد بن الحسن الشيبانى ١١٣
محمد بن السائب الكلبى ٧٥
محمد بن سليمان ٤٩
محمد بن عيسى برغوث ١١٤
محمد بن كرام النيسابورى ٢٩، ٣٨ ،
١١٩، ١١٤، ١٣٢، ١٣٤

احمد بن حنبل ٨٨
احمد بن راهويه ٣٦
احمد بن عباس ٣١
امية بن ابي الصلت ١٠٠
الباقلانى ١٣٠
بشر بن المعتمر ٣٤، ١١٣
البيطخى المجير ٦٩
ثمامة بن اشرس ٦٦، ٦٧
جابر بن يزيد الجعفى ٣٥
جعفر بن سليمان ٤٥، ٤٦
جعفر بن محمد الصادق ٥٨
جهم بن صفوان ٦٥، ٦٩
حسن البصرى ٢٥، ١١٢
حسين بن على الجعل ١١٣
حسين النجار ٧٣، ٧٦، ٧٧، ١٢٩ ،
١٣١
حفص القرذ ٥١، ٦٩، ٧٠، ١١٤
حماد بن سلمة ٣٢
داود الظاهرى ٣٦، ٥٠
ركن الدولة البويهى ٢٨
زفر بن الهذيل ١١٣
زيد بن على ٩٩، ١٣٧
سلام القارى ابو المنذر ٥٩، ٦٤، ٧٩
سيقويه القاص ٤٢
الشافعى ١١٣
الشورمىنى ١٣٣

هشام بن الحكم ٥٠
 هشام بن عبد الملك ٩٩ ، ١٣٧
 الهليلجي ٣٠
 الواثق العباسي ٧٥ ، ١١٣
 وليد بن يزيد الاموي ٢٧ ، ٩٩
 يحيى بن اكرم ٦٧
 يحيى بن كامل ٧٥ ، ١١٤
 يحيى بن معين ٣٥
 يزيد بن الوليد الاموي ٢٧

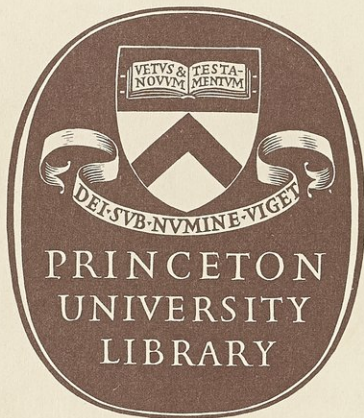
محمد بن واسع ٥٨
 محمود الوراق ٥٢ ، ٦٠
 مروان الحمار ٩٩
 معاذ العنبري ٣١ ، ٣٢ ، ٥٠
 المعتصم ١١٣
 مكحول ١١٣
 مكثف المجير ٤٥ ، ٤٦
 الموفق العباسي ٥٠
 النظام ٧٠ ، ٧٦ ، ١١٣
 نيمون النصراني ١٣٠

هشام بن الحكم ٥٠
 هشام بن عبد الملك ٩٩ ، ١٣٧
 الهليلجي ٣٠
 الواثق العباسي ٧٥ ، ١١٣
 وليد بن يزيد الاموي ٢٧ ، ٩٩
 يحيى بن اكرم ٦٧
 يحيى بن كامل ٧٥ ، ١١٤
 يحيى بن معين ٣٥
 يزيد بن الوليد الاموي ٢٧
 محمد بن واسع ٥٨
 محمود الوراق ٥٢ ، ٦٠
 مروان الحمار ٩٩
 معاذ العنبري ٣١ ، ٣٢ ، ٥٠
 المعتصم ١١٣
 مكحول ١١٣
 مكثف المجير ٤٥ ، ٤٦
 الموفق العباسي ٥٠
 النظام ٧٠ ، ٧٦ ، ١١٣
 نيمون النصراني ١٣٠

١٣
 ٦٥
 ٥٢
 ١٧
 ٢٨
 ٢٨
 ٠٦
 ٥٦
 ٥٠١
 ٧٠١
 ٠١١
 ٢١١
 ٨٦١
 ٢٦١
 ١٣١

فهرست الابواب

- مقدمة المحقق
الكتاب
- الباب الاول - في ما صدر به الرسالة من الشكوى
الباب الثاني - في التوحيد والتشبيه
الباب الثالث - في العدل
الباب الرابع - في القضاء والقدر وذكر القدرية
الباب الخامس - في خلق الافعال
الباب السادس - في الاستطاعة
الباب السابع - في الارادة والكراهة
الباب الثامن - في القرآن
الباب التاسع - في النبوات
الباب العاشر - في الامامة والامر بالمعروف
الباب الحادى عشر - في الاجال والاموال والارزاق
الباب الثانى عشر - في جزاء الاعمال والوعيد
الباب الثالث عشر - في ذكر السلف
الباب الرابع عشر - في المقامات والحكايات
الباب الخامس عشر - في ذكر المذاهب
الباب السادس عشر - في القتال
- الفهارس



Princeton University Library



32101 075818946